

مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 14
سبتمبر 2018
كلمة حق
مذكرات رفاعي طه (6)
محمد إلهامي
دروس من بلاد الأفغان (2)
حامد عبدالعظيم
انفراد : حوار مع المتحدث الرسمي لحركة حسم
ما لا تعرفه عن ثورة التحرير الجزائرية
الصغير منير
ذروة سنام الإسلام
د. عطية عدلان
وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

الرابع عشر ، سبتمبر 2018





المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم

الافتتاحية..
العوائق الأربعة أمام عقل التحرر والمقاومة

محمد إلهامي

نحن في صراع مع النظام العالمي الذي بناه الغرب، وهذا النظام أنتج أفكاره وقيمه ومعاييره وجعلها ثقافة عالمية غالبة، يرسخ لها بسلاحه ونفوذه السياسي كما يرسخ لها بقوته الإعلامية والفكرية، وبقدر ما تترسخ أفكاره بقدر ما يترسخ نفوذه وسلاحه، وبقدر ما يترسخ نفوذه وسلاحه بقدر ما تنتشر وتهيمن أفكاره.

والمحنة التي يعانيها الفكر الإسلامي منذ مائتي سنة (التي هي عمر التفوق الغربي وهيمنته على بلادنا) هي محنته مع هذه الثقافة الغربية الغالبة، وانقسام المدارس الفكرية الإسلامية هو في الواقع انقسامها في استجابتها لهذا التحدي، فهناك من سعى للتوفيق والمصالحة وهناك من سعى للرفض والمواجهة، وفي كلٍّ درجات ومنازل وأطياف من الثبات ومن الانحراف.

وإن أمر التحرر والمقاومة هو من صميم هذه المحنة العاتية.. فإن أقصى ما تريده الثقافة الغربية الغالبة أن يعتنقها أولئك المهزومون الضعفاء ليكونوا من أبنائها (أو بالأحرى: عبيدها)، ومن ثم فلن يفكروا في المقاومة أصلا بل سيعتبرون لحظة احتلالهم هي لحظة الفتح الغربي لبلادهم! كذلك فإن أقصى ما تريده الثقافة الإسلامية أن تعود الأمة إلى دينها الصافي الأول كما نزل على نبيها دون شوائب ودون تأثر بالمكونات الأجنبية الدخيلة التي جاءت من عصور التخلف والاحتلال..

لهذا كله فإن المقاومة والتحرر والثورة هي في النهاية علامة على مدى نجاح المعركة بين الثقافتين والحضارتين: الغالبة والمغلوبة، فما دامت الأمة تقاوم وتسعى للتحرر فهي لا تزال وفية لنفسها ودينها وتاريخها، أما حيث فقدت روح المقاومة والتحرر فإنها تعبر عن مرحلة احتضار مفزعة.

لكن الأمر ليس دائما بهذا الوضوح، ليس المشهد منقسما بين متغربين يمارسون الدعوة للحضارة الغربية وإسلاميين يمارسون الكفاح والمقاومة والتحرر، لقد وُلِد من رحم المدرسة الفكرية التي سعت للإصلاح وبفعل أزمنة الاستضعاف ظواهر من دعاة ومفكرين ونخبة محسوبة على المدرسة الإسلامية لكنها تعتنق أصول الحضارة الغربية، بل وتمارس ما ترى أنه "تجديد" في الفقه والتراث الإسلامي، وهي في صف الثورات عموما، وفي صف المعارضة للأنظمة الحاكمة، لكن البديل الذي تدعو إليه والمجتمع الذي تنشده هو صورة من البديل والمجتمع والنظام الغربي.

أولئك لا يرون مشكلة أمتنا في الاستضعاف والاحتلال وحكم العملاء بقدر ما يرونها في تراثنا الفقهي ومسيرتنا التاريخية وإنتاجنا الحضاري، وأشد ما يزعجهم ويسيطر على كتابتهم هي المسائل التي تمثل تناقضا بين الحضارتين كقضايا المرأة وأحكام الجهاد وأحكام أهل الذمة والحدود (وبالذات: حد الردة وحد الرجم)، ويرون أن أصل المشكلات إنما هي ما فعله معاوية، وبعضهم يمدها إلى الحسن بن علي باعتباره أول من تخلى عن الشرعية السياسية تحت وطأة الضرورة (رغم أن النبي مدح فعل الحسن!!)، وبعضهم يمدها إلى سقيفة بني ساعدة، وبعضهم انصب تجديده على الأصول يحاول تفكيك المناهج الإسلامية المستقرة التي اجتمع عليها العلماء في الاستنباط والتعامل مع النصوص.

وبعضهم يجدد اللغة لتفكيك معاني ومفاهيم المصطلحات القرآنية والنبوية المستقرة ليُخرجها من دلالاتها التي استقر عليها فهم المسلمين وبُنيت عليها الأحكام، وبعضهم يحاول التفلت برفع راية المقاصد التي لا تستنبط من الأحكام بل تهدر الأحكام وتخرقها، فكأن المقاصد فوق الأحكام وليست ثمرة لها!

النقاش مع هؤلاء يطول في المجال الفكري، لأن لهم آثارا فكرية مريعة ومدمرة، وقد ذكرنا في مقال سابق كيف أن مهمتهم فاشلة، إلا أن الذي يهمنا الآن هو آثارهم المدمرة في باب المقاومة والتحرر والكفاح الذي تخوضه الأمة.

أولئك يجمع بينهم القول بأن الأمة ضلت في باب السياسة منذ معاوية أو منذ الحسن أو حتى منذ أبي بكر، وهم بهذا لا تفصلهم عن العلمانيين المتغربين سوى خطوة فكرية واحدة، كما لا تفصلهم عن الشيعة سوى نصف خطوة. فالعلمانيون يقولون ليس في الإسلام نظام سياسي وهؤلاء يقولون فيه نظام سياسي لكن لم يُطبَّق أبدا أو لم يُطبَّق سوى خمس عشرة سنة! والشيعة يقولون: كفر الصحابة وغيروا وبدلوا وأولئك يقولون: لم يكفروا ولكن غيروا وبدلوا وانتصرت عليهم شهوات النفس ومطامع الدنيا.. كذلك يجمع بينهم التعامل مع الديمقراطية والمنتج السياسي الغربي باعتباره أرقى ما توصلت إليه البشرية في تطورها، فهو إن لم يكن الحكمة التي علينا طلبها من أي أحد فهي على الأقل الحكمة التي فاتت صحابتنا وفقهاءنا وتراثنا وفارقت تاريخنا منذ بدأ وحتى الآن!!



وهذه النتيجة أفتك ما يصيب روح أمة وهي في مرحلة التحرر والكفاح والمقاومة، فليس يكافح إلا الذي ينطلق من إيمان جازم بأنه على حق وأنه يملك البديل الأحق لهذا الظلم الذي انطلق يواجهه، وحيث ليس لدينا نظام سياسي فإن غاية ما نفعله حتى لو انتصرنا أن نطبق النظام الغربي ونستورده. أي أن هذه المدرسة (وهي بالمناسبة أكثر المدارس "الإسلامية" تمتعا بالأموال والشهرة الإعلامية الآن) تضرب عقيدة المقاتل وثقته بنفسه ورؤيته لنفسه بأنه من خير أمة، ثم تأخذ به ليتلقى الدروس في مصانع الحكمة الغربية التي يواجهها!

والمشكلة أن بعضا من حركات التحرر والمقاومة تتأثر بإنتاج هذه المدرسة لما ترى من رموزها من المواقف الثورية والمعارضة للواقع الحاضر، وإني أشهد فيما أراه على الانترنت وفيما أراه من الواقع كثيرا من الطاقات التي تعطلت، وبعضهم وصل الحال به إلى أن ارتد أو ألحد أو تشكك، وكان في يوم ما من الطاقات الثائرة الباسلة التي كادت تفقد حياتها في مواطن ثورية. كذلك أشهد خطابات لجهات وكيانات محسوبة على الثورات قد فقدت روحها الإسلامية الثائرة والمعتزة وصارت تميل إلى اللغة السياسية التي تكثر فيها الاستدراكات والاحترازات.

وهذا ما يجعل الأمانة ثقيلة ثقيلة على من وهبهم الله شيئا في باب التفكير والتنظير ونشر الوعي لترشيد المقاومة، وفي محاولة مني لوضع خطة أمام هؤلاء الذين تحملوا هذه الأمانة للقيام بها في باب التحرر والمقاومة وجدت أن الأمر يتلخص في أربعة عوائق رئيسية:

الأولى:

معرفة حكم الإسلام في المسألة مع التخلص التام من ضغط الواقع وسطوة الثقافة الغالبة.

الثانية:

معرفة موقع هذا الحكم من المنظومة العامة للإسلام، وكيف سار تطبيقه في التاريخ الإسلامي، والمراحل التي مرَّ بها.

الثالثة:

معرفة رؤية الحضارة الغربية لهذه المسألة نفسها في كتابات المنظرين والمفكرين والفلاسفة، وموقعها ضمن المنظومة الفكرية الغربية العامة.

الرابعة:

معرفة التطبيق الغربي لهذه الفكرة في الواقع العملي، وهل جرى تطبيقها في نفس السياق الذي أراده الفلاسفة والمفكرون حين أنتجوها أم أن الفكرة المبهرة التي صيغت في الكتب لم يكن لها مجال واقعي، وظلت كاللعبة يُشار إليها للفت نظر الصبيان وتغرير المغفلين وإلهائهم؟!

إذا اكتملت في العقل هذه الأمور الأربعة اتضح طريق الهداية والنور لحركة المقاومة والتحرر أولا، ثم لسائر الحركة الفكرية التي تقاوم في ثغور الكتابة والتنظير والتفكير.

سنضرب هنا بعض الأمثلة لتوضيح الصورة، وسنختاره من أشهر الشبهات التي تروج في إنتاج هذه المدرسة، وسنختارها من الشبهات المتعلقة بالجهاد والمقاومة والثورة:

[أ]

تُزَيَّن الديمقراطية الغربية باعتبارها النظام الذي منح الشعوب حقوق الاعتراض، ومنع السلطة من الظلم وغلَّ يدها عنه، في مقابل التراث الفقهي والنصوص التي شرعنت الظلم وشلَّت الأمة عن الاعتراض عليه، كما في الحديث "تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك".

لتفكيك هذه الفكرة ينبغي تجاوز العوائق الأربعة: فهم حكم الإسلام في هذه الطاعة للأمير الظالم، ثم فهم كيف جرى تطبيق هذا الأمر في تاريخ المسلمين، ثم البحث عن رأي الفكر الغربي في هذه الطاعة، ثم البحث عن التطبيق العملي لهذه الفكرة في التاريخ الغربي الحديث.

سنجد أولا أن علماء الحديث مختلفون في صحة هذه الزيادة "وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" فبعضهم يقول هي صحيحة، وبعضهم يقول: هي ضعيفة لا يؤخذ بها. سنمضي الآن مع من قالوا إنها صحيحة، فسنجد الفقهاء مختلفين في تنزيلها على قولين؛ **الأول:** أن الحاكم إذا ضرب ظهرك في عقوبة شرعية كحد الجلد في السرقة أو في الخمر وإذا أخذ مالك شرعا كالزكاة فتلك من حقوقه التي لا يجوز لك أن تخرج عليه بسببها بل تظل على الطاعة والولاء واحترام النظام، **والثاني:** أن الحاكم إذا ظلمك فضرب ظهرك وأخذ مالك فلا ينبغي أن يثور بك الغضب فلا تقدر عواقب الخروج عليه،

بل إن كانت المصلحة في الصبر واحتمال الأذى منه أكبر من المفسدة المترتبة على الثورة والخروج عليه فاحتسب ذلك عند الله واصبر.

وهكذا نجد معنى السمع والطاعة للأمير الظالم في أدنى حالاته يساوي معنى احتمال الأذى الخاص رعاية للمصلحة العامة.

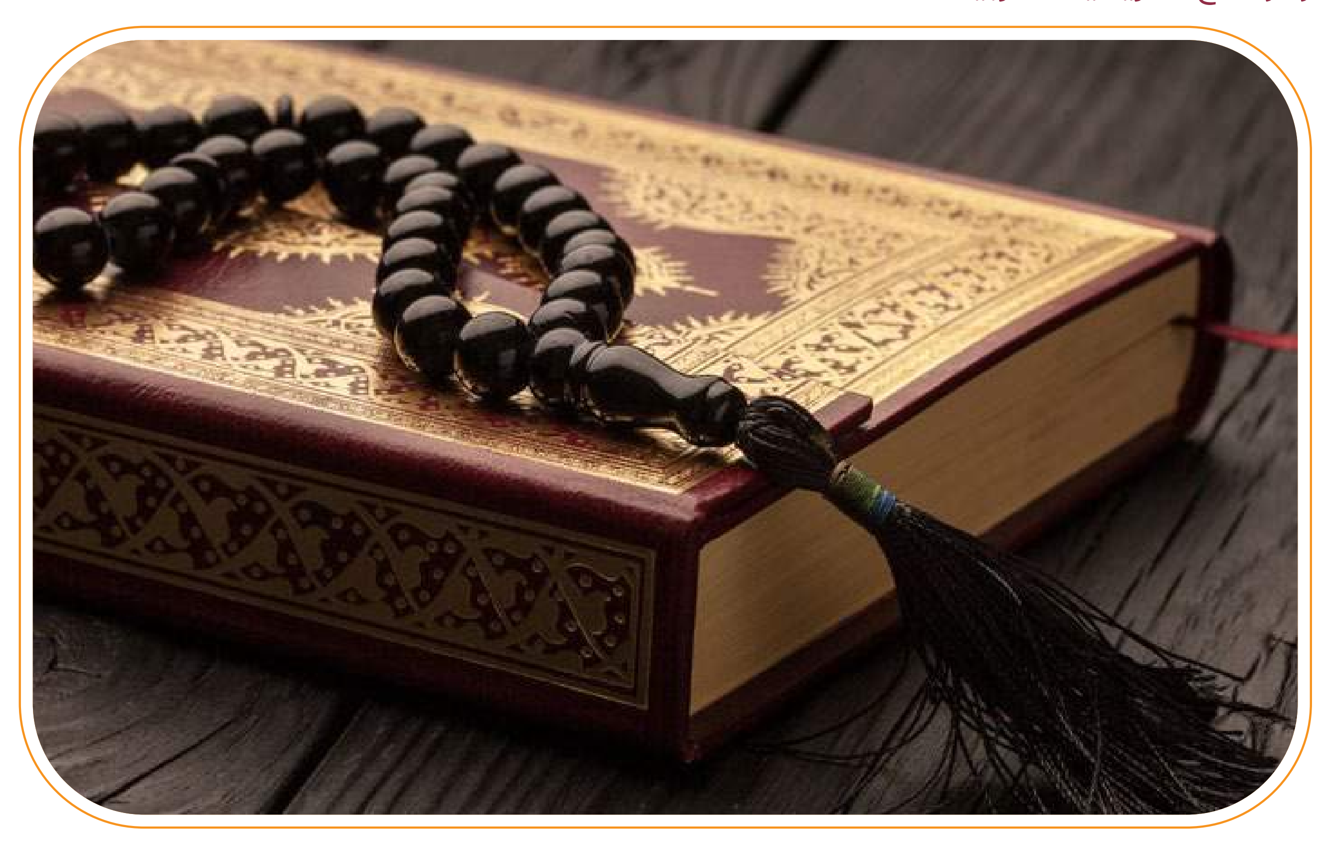
٢ فإذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي، وكيف فهم المسلمون الأوائل هذا النص وعملوا به، وجدنا أنفسنا أمام طوفان من الثورات والتمردات، لا سيما في الصدر الأول، وهم خير القرون وهم كذلك أفقه الأمة، فلقد سعى الأكثرون في تغيير المنكر بالسيف وإن لم يتيقنوا من قدرتهم على تغييره، وأكثر الصحابة إما قاتل مع علي أو مع معاوية ومن اعتزل فإنما اعتزل لأنه لم يتبين له الحق، وسائر الأئمة الكبار تعرضوا لغضب السلاطين وكثير منهم أنشب ثورة أو شارك فيها أو حرض عليها أو أفتى بما يدعمها، وهذا أمر يطول استقصاؤه، حتى قال الشهرستاني بأن مسألة الإمامة (أي: أمر السياسة) هو أكثر ما سُلَّ فيه السيف في الإسلام. أي أنك أمام أمة ثائرة حتى إنه ليمكن تفسير الفقه المصلحي الداعي إلى السمع والطاعة في القرون المتأخرة بأنه رد فعل على نتائج الثورات التي لم ينجح أغلبها (كما هي سيرة كل ثورات البشر في كل تاريخ البشر) فكانوا أقرب إلى التهدئة، وهو ما يظهر في قول ابن حجر المشهور بأن الخروج "مذهب للسلف قديم".

والمعنى الذي نريد قوله هنا إن المسلمون لم يتحولوا بهذا النص إلى عبيد لمن حكمهم وتغلب عليهم، ولعل دولة الأمويين هي الدولة التي واجهت أكبر عدد من الثورات في تاريخ الإسلام، وهي أول دولة ظهر فيها الحاكم المتغلب (عبد الملك بن مروان)، برغم إنجازاتها هائلة في الفتوح ونشر الإسلام ووحدة الأمة من الصين حتى فرنسا.

٣ فإذا حاولنا استطلاع وفهم هذه المسألة في الفكر القانوني الغربي، الذي يُعرض لنا كواحة للعدالة في مقابل تراثنا المظلم، وجدنا عجبا.. إن المدارس القانونية الغربية تُلْزِم بطاعة القوانين غير العادلة، لأن إتاحة الخروج عليها لكل من يرى أنها غير عادلة يساوي اختلال النظام واضطراب الدولة، أي أن الفكر القانوني الغربي يُنَظِّر ويُشَرْعِن لفكرة "تسمع وتطيع للنظام وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك". هذا فضلا عن أن أصل نظرية السيادة في الفكر الغربي إنما تؤول عمليا إلى مراكز القوى (أي: المتغلب) في لحظة كتابة الدستور، أي أن المتغلب القوي هو الذي يصنع نظرية السيادة أولا ثم يصوغها في دستور ثم تتفرع عنه القوانين، التي تكون كلها ملزمة للشعوب ولا يجوز لهم خرقها ولو كان رأيهم أنها غير عادلة.

ومن فضلك لا تنسَ أن المتغلب في التاريخ الإسلامي لم يكن يستطيع أن يغير المرجعية العليا الحاكمة (القرآن والسنة) ولا كان يستطيع -ولو توفرت له القدرة- أن يتغول على المساحات المجتمعية التي يتولاها العلماء والأعيان وغيرهم، لأنها محروسة أيضا بنصوص مقدسة.

٤ فإذا ذهبنا إلى متابعة الواقع الغربي في تطبيق هذه الفكرة، فسنجد أن التاريخ الغربي كان مخلصا في فرض القوانين بالقهر والقوة، وفي مقاتلة الخارجين عليها مهما كانت مبرراتهم أنها غير عادلة، بل ولما تغيرت الظروف وتغيرت هذه القوانين وحصل الاعتراف بأنها لم تكن عادلة لم يحصل ردُّ الاعتبار للقتلى ولا تعويض المضارين الذين ثاروا أساسا على هذه القوانين التي اتضح بالفعل أنها غير عادلة. (انظر تفصيل هذا **في هذا المقال** للشيخ الفذ الأسير: إبراهيم السكران، سجين آل سعود، فرج الله عنه.. ففيه طواف في المدارس القانونية والوقائع التاريخية الغربية).



وهكذا مع تفكيك هذه العوائق الأربعة نصل بوضوح إلى أن الديمقراطية المعاصرة لا تتميز لا من حيث النظر ولا من حيث التطبيق على الشريعة الإسلامية، بل هي أدنى وأحط، لأن المستقر عندها "الخضوع للنظام ولقوانينه غير العادلة" هو المختلف فيه لدى الفقهاء، بل هو مساوٍ لأدني تفسيرتهم للطاعة رعاية للمصلحة العامة.. فضلا عن أمور أخرى كثيرة.

[٢]

تُعْرض الديمقراطية المعاصرة في ثوبها اللطيف المُزَيَّن باعتبارها النظام الذي أنتج تداولا سلميا للسلطة، يذهب رئيس ويأتي رئيس، في حين ارتكست مسيرتنا الحضارية منذ لحظة تنازل الحسن بن علي لمعاوية عن الخلافة رعاية لمصلحة الأمة ففرط بهذا في الحق الذي معه تحت وطأة الضرورة، وهو ما أدى إلى استمرار التوريث الذي لا زال ينكبنا حتى هذه اللحظة.

لنفكك هذا الكلام في ظل العوائق الأربعة التي ذكرناها:

- فمن حيث حكم الإسلام فنحن أمام اتفاق معروف بأن منصب الإمامة منوط باختيار الأمة، فتركه النبي ولم يُسَمِّ من بعده خليفة لكي لا يكون نصب الخليفة نصا شرعيا، وهكذا قال أبو بكر في أول خطبته، وهكذا سار العمل في زمن الراشدين.. ومنتهى القول في هذه المسألة إن مسألة التوريث هذه لم يقبلها الصحابة وكبار التابعين في زمن معاوية إلا تحت وطأة الاضطرار والخوف من وقوع الفتنة إذ يتعذر جمع الناس على خليفة يرضون به جميعا، فسَلَّموا بأن تحكم العصبة الأقوى المؤهلة لقيادة الأمة، مع بقاء الحكم الشرعي نفسه واضحا يردده الفقهاء منذ وُجِدوا إلى زماننا هذا.

أي أن الإسلام لم يشرعن التوريث، لم يحض عليه، بل ولا يقبل به إلا في حالة الاضطرار والضرورة.. هذا من حيث حكم الإسلام نفسه.. وهذا في وقتٍ كانت كل أنظمة الدنيا ملكية وراثية من الصين حتى غرب أوروبا، فالإسلام لم يكن متأثرا بالواقع الأرضي بل كان متفوقا عليه ومبتكرا لنظام تختار فيه الأمة من يحكمها، وهي الفكرة التي كان مجرد طرحها في بلاط ملكي يثير الضحك ويلقي بصاحبها في الموت متهما بالجنون!!

- أما من حيث إن التوريث هو سبب نكبة الأمة الآن، ففي هذا اختلاف شديد جدا، ولا يُسَلَّم بهذا القول، فالأمة عاشت حضارتها التي ازدهرت وكانت قوة عظمى عالمية ألف سنة في ظل الملك العضوض والتوريث، ككل أمم الدنيا شرقا وغربا وككل حضارات الدنيا التي ازدهرت في ظل النظام الملكي الوراثي. وقد احتلنا الغرب ونهبنا وقهرنا منذ كانوا في نظامهم الملكي الوراثي بداية من إسبانيا الكاثوليكية التي افتتحت عصر الكشوف الجغرافية. ثم إن أمتنا منكوبة الآن على يد الملوك والعسكر الجمهوريين معا، فالنكبة تعم من ورثوا أولادهم ومن لم يورثوا.

٢ **العائق الثاني:** كيف سار هذا الوضع في التاريخ الإسلامي؟ والإجابة: سار مسيرة الأمر الواقع الذي يسوق إليه الاضطرار، والذي لا يلقى استسلاما من بقية الأمة، بل سيرة الثورات والتمردات مستمرة، مع بقاء الضمير العام متطلعا إلى نظام الخلافة الراشدة، ومع استمرار المحاولات بقدر ما أتاحت الظروف والإمكانات، ومن وقف بجانب الملوك إنما وقف بجانب استقرار النظام وتقديم مصلحة الأمة.

٣ فما هو موقع موضوع التوريث من الفكر الغربي؟ والإجابة: أنه لم تخرج فكرة التمرد على النظام الملكي نفسه وصناعة النظام الجمهوري ليحكم دولا كبيرة إلا قبل قرون قليلة (قرنان أو ثلاثة أو أربعة على الأكثر)، وما قبل ذلك إنما كان الحكم الديمقراطي علامة على المدن الصغيرة سواء أكانت مدن اليونان قديما (والتي انتهت تحت جحافل الرومان) أو المدن الإيطالية في العصر الوسيط والتي انتهت أيضا تحت جحافل الملوك أو البابوات.. ولذلك ظلت فكرة الحكم الديمقراطي نفسها وإن نجحت في إدارة الشأن الداخلي إلا أنها عاجزة عن التوسع والتمدد والنجاح في دولة كبيرة بل وظلت عاجزة عن حماية نفسها من تغول الدول الكبيرة المجاورة. وهكذا ظل نظام التوريث الملكي هو النظام السائد في الفكر والتطبيق التاريخي في أوروبا إلى ما قبل عصر الثورات الجمهورية التي يؤرخ لها بالثورة الفرنسية (قبل حوالي قرنين فقط).

على أنه يُنازَع أيضا، وبقوة، في أن مسألة رفض الملكية والتوريث كانت تطورا فكريا وارتقاء غربيا في مدارج الإنسانية، بل الأمر مزيج من عوامل اقتصادية وسياسية ودينية صنعت شكل الدولة الحديثة ضد الكنيسة والملكية والإقطاع (هذا المقال مجرد مثال يثبت أن المسألة لم تكن أفكارا).

٤ فما هو موقع موضوع التوريث من التطبيق الغربي؟ والإجابة: أن هذا أيضا موضع شك كبير، ففي كثير جدا من المؤلفات الغربية حديث متكرر عن أن الديمقراطية وتداول السلطة هو مجرد مسرحية تدور أمام الشعوب بينما تتحكم بها مراكز القوى الحقيقية والخفية.. تلك هي مراكز الأموال الضخمة التي تملك تمويل وتسيير وإنتاج وإخراج المسرحية السياسية، يستدلون على ذلك بكثير من الشواهد منها: أن السياسة فعليا لا تتغير مع تبدل الرؤساء إلا كما يغير أحدهم ثوبه، وأن العائلات الغنية الكبرى لا تزال هي التي تتوارث المال منذ أربعة قرون فكأنها هي العائلات الملكية التي فضَّلت ألا تكون في واجهة المسرح وقدَّمت بدلا منها عرائس تحركها من الخلف.

وحركة الإنتاج الفكري التي تتحدث عن السيطرة المالية الاقتصادية على السياسة كلها -تقريبا، وفيما أعلم- تؤول إلى الحديث عن مراكز القوى الحقيقية الخفية وشبكات المصالح والسيطرة التي لا تتغير بالانتخابات، ولا تُستدعى أمام البرلمان، ولا تحاكمها وسائل الإعلام.. بل كل هذه الأمور إنما هي وسائلها التي تتحكم بها في المشهد.

إن الحديث أن الغرب بالديمقراطية المعاصرة تجاوز التوريث ووصل إلى تداول حقيقي للسلطة هو أمر مُتَنَازع فيه ومختلف فيه بقوة. وقد سجل صحافي أمريكي مشاهدات خطيرة في كتابه ذي العنوان الكاشف "أفضل ديمقراطية يستطيع المال شراؤها".



والمقصود من كل ما سبق:

أن التوريث الذي يُعيروننا به لم يكن شرعا بل كان اضطرارا، وليس هو بنفسه سبب النكبة (إذ حضارات العالم القديم ازدهرت في ظل أنظمة ملكية وراثية)، كما أن الغرب لم يتخلص عمليا من التوريث، وهذا التداول في السلطة مشكوك في حقيقته من الغربيين أنفسهم.

[٣]

وأختم بهذا المثال، ولن أطيل فيه فقد طال المقال:

يُعيّروننا بأحكام الجهاد التي فيها جهاد الطلب، ويرون أنه اعتداء وعدوان على الأمم الأخرى ولو كانت مسالمة، بينما جاء النظام العالمي بسيادة الدول ومنع الآخرين من التدخل في شؤونها.

١ فأما حكم الإسلام في المسألة نفسها فهو متعلق بمسألة "هل الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى: السلم أم الحرب"، فالجمهور على أنه السلم وقال الشافعية بأنه الحرب، وفي المسألة تفاصيل كثيرة ليس هذا موضعها، لكنها جعلت بعض المعاصرين يجعلون المسألة على العكس فيقولون بأن الجمهور على أنها الحرب أو على أنها الدعوة.. ويُطلب الأمر في كتب الفقه لكن الذي نقصده الآن أن المسألة فيها خلاف بين الفقهاء.

ومنبع هذا الخلاف -فيما أرى- أن وقائع السيرة والتاريخ تحتمل الرأيين، فمن طبائع الواقع أن الباطل لا يطيق وجود حق إلى جواره، فسرعان ما تنشب بينهما المعركة.. ومن ثم فإن غزوات النبي وفتوحات الراشدين حين تُحلَّل فقيهاً فإنها لا تخلو من سبب عدائي من الطرف الآخر، ويأتي الخلاف من تقدير الفقهاء: هل لو لم يقع هذا السبب العدائي كانت ستتحرك الجيوش للغزو والفتح أم لا.

على كل حال هو نقاش نظري.. لكن المضمون العملي الكامن فيه هو: هل على الدولة الإسلامية مسؤولية أخلاقية لإنقاذ الشعوب الأخرى من الظلم والاضطهاد الواقع عليها من الأنظمة الباطشة؟ فيكون الفتح إنقاذا لها ولو لم يقع من هذا النظام الباطش بشعبه خطر على المسلمين والدولة الإسلامية؟

٢ **العائق الثاني:** كيف جرى تطبيق هذا في تاريخ الإسلام؟ والإجابة: سبقت خلاصتها في السطور السابقة.. فقد توسعت دولة الإسلام توسعا كبيرا وغزت جيوشها أطراف الصين وحتى جنوب فرنسا، ووصلت إلى موسكو شمالا وإلى وسط إفريقيا جنوبا.. وكانت -كما نرى ونعتقد- أوسع عملية تحرير للشعوب في تاريخ البشر، ونحن الفاتحون الذين أقاموا العواصم الحضارية في أقصى الشرق والشمال وفي أقصى الغرب والجنوب بينما قصص الاحتلال هي قصص امتصاص موارد البلاد ودماء الشعوب لتتضخم عواصم الإمبراطورية..

وفي عموم التاريخ الإسلامي كانت عواصم الشرق والغرب أزهى حضاريا من مكة والمدينة وأحيانا أيضا: بغداد ودمشق (وهي عواصم الدولة الإسلامية).

٣ **العائق الثالث:** كيف يرى الغرب مسألة جهاد الطلب؟ والإجابة: وثائق المنظمات الأممية فضلا عن إنتاجات المفكرين حافلة بأن الغرب لديه مسؤولية أخلاقية في نشر ما يراه حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية والقيم الإنسانية.

٤ **العائق الرابع:** كيف كان تطبيق جهاد الطلب عمليا في التاريخ الغربي؟ والإجابة: سل خمسة قرون تبدأ من الإسبان في عصر الكشوف الجغرافية وحتى لحظة قراءتك لهذا المقال: عن استعمار إفريقيا والأمريكتين واتخاذ ملايين البشر عبيدا وطواف السفن من ماجلان وكولومبوس حتى القواعد العسكرية البحرية في المحيطات والبحار حول العالم.. الجواب واضح.

إنما المأساة هنا في أن ترى "مفكرا" ينادي على الغرب (يسميه: المجتمع الدولي) أن يتدخل لإنقاذ شعب من حاكمه الجلاد، كما في سوريا مثلا، ويرى في توجيه الضربات العسكرية للنظام ومساندة الثورة عليه عملا جليلا وإنسانيا ونبيلا.. ثم هو هو نفسه يريد أن "يجدد" الإسلام فيحذف جهاد الطلب لأنه لا يناسب المعايير المعاصرة والتقدم الإنساني الذي وصلت إليه البشرية!!

لئن كنتَ ترى أن تدخل القوي لإنقاذ الضعيف واجب إنساني.. فما الذي جعله بردا وسلاما للأمريكان ووثائق المنظمات الدولية حرًّا ونارا على المسلمين وتراثهم الفقهي؟!!

الخلاصة:

أكثر تشغيبات الذين يريدون "تجديد" الإسلام وتنقيح تراثه الفقهي وتطويره بما يتلاءم مع العصر هم في الحقيقة منسحقون أمام الثقافة الغالبة، ومن شدة انسحاقهم تشوهت لديهم معرفة ثقافتهم ومعرفة الثقافة الغالبة معا.. وهذا أمر لا بد لا بد لا بد أن تتحرر منه حركات المقاومة والتحرر، فلا مقاومة ولا تحرر إلا بنفسية تؤمن بأنها الأصلح والأحق وأنها على الخير والهدى، وحتى يتحقق ذلك فالأمانة التي على واجب العلماء والفقهاء والمفكرين والكتاب أن يحللوا كل مسألة في ضوء هذه العوائق الأربعة لتتضح الصورة التي نؤمن بها أننا خير أمة أخرجت للناس، وأننا جند الله وقدره الغالب ولو بعد حين!

ضَفدعة الأسود: الطعنة النجلاء في ظهر الثورة

كرم الحفيان



مقدمة

مع بداية العام ٢٠١٨ م، كثر الحديث عن ظاهرة "الضفادع" في الثورة السورية، والضفادع هم: دعاة التصالح أو العودة إلى سلطة النظام. وترجع التسمية للشيخ "بسام ضفدع"، أحد سكان بلدة كفربطنا (بالغوطة الشرقية بدمشق)، وصاحب الدور الخطير في ضعضعة صفوف الثوار، قبل سقوط الغوطة الشرقية بالكامل في أبريل ٢٠١٨ م. هذه الحادثة لم تكن الأولى ولا الأخيرة، فقد سبقتها مناطق بريف دمشق والقلمون، وتبعتها بؤر في ريف حمص الشمالي و درعا والقنيطرة.

استخدم الضفدع مسارين متوازين، الأول: التشجيع على حتمية العودة إلى "حضن" النظام، مستغلاً حالة هلع الأهالي، والفوضى أثناء هولوكوست الطيران الروسي. والثاني: اختراق الثوار عبر تجنيد مقاتلين من داخل صفوفهم ليطعنوهم في الخاصرة، ويرشدوا قوات النظام أثناء دخولهم.

"ومع تعدد مقدمات الظهور "القوي" للضفادع في بعض المناطق، ك: اختراق النظام للفصائل، ووجود موالين للنظام في المجالس المحلية والمجتمعات، إضافةً إلى التجويع والحصار الخانق لبعض المناطق، ناهيك عن وحشية القصف الروسي الحارق للأخضر واليابس، وانتهاءً بحالة التفرق السائدة في العمل الثوري، إلا أن السبب الأكثر موضوعية لقفز الضفادع واستئسادهم هو: تخوين أو "ضفدعة" أسود الثورة"."

والتخوين الذي نعنيه هنا، هو ذاك الذي ترتب عليه إطلاق نار كثيف (لا إطلاق ألسنة فقط) في معارك داخلية ملتهبة، امتدت لشهور، وبعضها لسنوات، داخل المدن والبلدات الحاضنة للثورة، وأدت لإضعاف القوة العسكرية للثورة، وتراجع شعبيتها، وانحسار دوائر الدعم السورية (داخلياً وخارجياً) والإسلامية، المادية منها والمعنوية.

أما إطلاق الألسنة بتهم الخيانة والعمالة، تارة بحق، وتارات بالظنون والافتراءات، فمع الأسف، موجود بصورة ملفتة، في غالب الأجسام والأوساط الثورية [١]. وهو من أكبر الأمراض المجتمعية، الناشئة عن البعد عن السلوك والروح والثقافة الإسلامية الأصيلة.

الموجة الأولى للمصالحات بدأت في منتصف ٢٠١٤ م [٢]، وجاءت بعد ستة أشهر من بدء أول اقتتال داخلي كبير، كان طرفاه: غالب فصائل الثورة في مواجهة تنظيم الدولة، ونتج عنه بعد شهور معدودة:

- مقتل آلاف المقاتلين من الجانبين.
- اعتزال الآلاف للقتال وخروجهم من سورية.
- التحاق عشرات الآلاف بداعش من الداخل والخارج.
- تقطيع أوصال الجغرافيا الثورية، بعد سيطرة داعش على البادية الشامية والشرق، وقطعها لطرق الإمداد البشرية والمادية، التي كانت تربط الشمال والشرق بالجنوب (قرابة 57% من الأرض السورية). سلب أبرز الموارد الاقتصادية للثورة (حقول النفط في شرق سورية).
- بدايةً خُوّن الجيش الحر بأكمله، ثم اتُّهمت الجبهة الإسلامية بالعمالة للخارج، وفي النهاية رُميت جبهة النصرة بالكفر.

---

(١) انظر: عبد المنعم زين الدين، التخوين الشائع في الثورة.. شجاعة أم تشبيح؟، الدرر الشامية، ١١ مارس ٢٠١٧ م.
(٢) انظر: شبكة شام، العملية التفاوضية المحلية في الصراع السوري، ٨ أكتوبر ٢٠١٦ م.

سنتطرق لثلاثة فقط من أبرز وأكبر الفصائل التي "ضُفدعت" من داعش، ودخلت في مواجهات عنيفة معها، وجميعها كانت ضمن "الجبهة الإسلامية": لواء التوحيد وصقور الشام وأحرار الشام.

لواء التوحيد: أكبر فصيل في الشمال وقتها، وهو من قام بتحرير أغلب محافظة حلب، مدينةً وريفاً، ومؤسسه عبد القادر الصالح (حجي مارع): أيقونة الثورة السورية، وآسر قلوب الثوار [٣]. أنفق كل ماله لتسليح الثورة، واشتهر بدعوته وتواضعه وحسن خلقه. وقد طالته سهام تكفير وتخوين داعش قبل موته [٤]، وقبيل نشوب الفتن بفترة قصيرة. نجح لواء التوحيد في طرد داعش من حلب وريفها، إلا أنه استُنزف بشدة وضعف كثيراً، ولم يعد كما كان.

ألوية صقور الشام: من أكبر الفصائل وقتها، ولها دور كبير في بدء الجهاد، وتحرير مناطق واسعة خاصة بمحافظة إدلب، وبالأخص منطقة جبل الزاوية، المكونة من سلسلة جبلية وعرة، وتعد (بقراها ال٣٦٠) المأرز التاريخي، والحصن الحصين، لثوار سورية. وقائدها أبو عيسى الشيخ، من أسرة تعج بالمجاهدين، وتتوارث الجهاد. فهو: مجاهد ابن شهيد وأب وشهيد وأخٌ لأربعة شهداء [٥]، وقريب لعشرات الشهداء. بالرغم من ذلك لم يسلم هو وجماعته من التخوين والضفدعة. وفي سيناريو شبيه لما حدث مع لواء التوحيد، أزاح الصقور داعش من كل مناطقهم، ولكن بعد أن فقدوا أغلب قوتهم، وكان قبلها قد انشق عنهم أحد أقوى ألويتهم: لواء داوود لينضم لداعش لاحقاً [٦].



(٣) انظر: ياسر الأطرش، عبد القادر الصالح "حجي مارع" يأسر قلوب الثوار، أورينت نت، ٢٤ يونيو ٢٠١٣ م.
(٤) انظر: مضر النجار (من القادة المقربين لحجي مارع)، لقاء خاص مع مضر النجار حول تنظيم الدولة، قناة حلب اليوم، الدقيقة ٢٢، ٢٥ أبريل ٢٠١٥ م.
(٥) انظر: زمان الوصل، أبو عيسى الشيخ يزوج 'حدى بناته من شاب قدم عينه "مهراً"، 22 يونيو ٢٠١٤م.
(٦) انظر: المدن، "صقور الشام" عودة مقاتل أم انتفاضة جريح، ١٧ مارس ٢٠١٨ م.

حركة أحرار الشام: أول جماعة إسلامية مسلحة تعلن عن نفسها في الثورة، يونيو ٢٠١١ م، أي بعد ثلاثة أشهر فقط من بدء الثورة. وهي من أكثر الفصائل مساهمةً في تحرير المناطق على كامل التراب السوري. وكان لها وجود قوي في أغلب المناطق. ورغم الخلفية الجهادية لأغلب عناصرها فإنها بعد تعديل مجموعة من أهم أفكارها أثناء الثورة، ومع استقطابها لأغلب الكوادر السورية المتعلمة والمثقفة، وانفتاحها على غيرها من الجماعات والعلماء والمفكرين، غيرت تموضعها من جماعة سلفية جهادية، إلى حركة إسلامية شعبية، وأصبح قادتها رموزا ثورية عامة، حتى خارج سورية. وقد دخلت في صراع عنيف مع داعش، قُتل على إثره مئات من عناصرها، وانشقت مجموعات كاملة تابعة لها لتلتحق بداعش.

> إذن، فالمسألة لم تكن مجرد اقتتال عابر، وإنما حرب مستعرة، نتج عنها اعتزال الكثيرين للقتال وتركهم للجهاد، وانشقاقات ثم إنضمام لداعش. قد لا يصدق البعض، أن إصداراً مرئياً واحداً مؤيداً لداعش، مدته أقل من نصف ساعة، أحدث بلبلة في صفوف المقاتلين وشكك البعض بقادتهم وجهادهم.

هذا الإصدار: "الصارم الحسام في كشف ردة صحوات الشام" نُشر في بداية الاقتتال، وانتشر انتشار النار في الهشيم بين المجاهدين، وقد حوى تصريحات ومعلومات وأخباراً متفرقة ومقتطعة، تم جمعها بطريقة معينة للوصول لاستنتاج أن: جميع الفصائل التابعة للجبهة الإسلامية ولهيئة أركان الجيش الحر مرتدين وعملاء للدول الكافرة، وذلك لتلقيهم دعماً من بعض الدول، وإجرائهم للقاءات تطمينية مع وفود غربية، إضافة إلى رغبة بعضهم بقيام دولة مدنية ديمقراطية في سورية .

ورغم نجاح الفصائل الثورية في الجولة الأولى من توجيه ضربات شبه قاتلة لداعش في ميدان القتال وفي مدة وجيزة جداً، فإن داعش استطاعت استيعاب الصدمة، وتجميع قواتها في مدينة الرقة شرق سورية، ثم شنت حملة إعلامية أمنية متزامنة، استطاعت من خلالها "ضفدعة" الكثير من قادة الثورة، وفي نفس الوقت، نفذت سلسلة كبيرة جداً من الاغتيالات والتفجيرات، ونجحت بقتل عدد كبير من القادة الميدانيين والشرعيين في شتى الفصائل.

---

(٧) انظر: الصارم الحسام في كشف ردة صحوات الشام، مؤسسة الأمجاد للإنتاج الفني، ٢٠١٤ م.

(٨) انظر: الجزيرة نت، ضباط "بعث العراق" يقودون تنظيم الدولة، ٨ أبريل ٢٠١٥ م.

لا يخفى على المتابعين، أن الصف الأول لداعش يختلف عن سائر الفصائل الثورية. فقيادة داعش لم يكونوا أشخاصاً مدنيين عاديين حملوا السلاح في الثورة، ولا معتقلين إسلاميين سابقين، ولا حتى جهاديين عابرين للحدود، إنما كانوا "رجال دولة" بالمصطلح السياسي المعاصر، فغالب قادتها المتنفذين، كانوا ضباطاً (وبعضهم كبار) في جيش ومخابرات دولة البعث العراقي وهي دولة أمنية بوليسية شمولية من الطراز الأول، تجيد تشويه وتصفية خصومها.

ورغم تعافي الثورة جزئياً، وخاصة في الشمال، بعد تشكيل تحالف جيش الفتح مارس ٢٠١٥ م، الذي فُتح عليه بمساحات لا بأس بها في محافظة إدلب، وبعض أرياف حماة، فإن التدخل الروسي في ٣٠ سبتمبر من نفس العام، إضافة إلى آثار الطعنة الأولى والأكبر في الجسد الثوري، كانا أكبر من استعادة الثورة لتألقها. فبعد سيطرة داعش على البادية، بقي المدد مقطوعاً عن المناطق الوسطى والجنوبية، ودخل بعضها في حصار مميت (ثم تهجير للشمال)، والبعض الآخر في مصالحات مذلة.

وشهد العام ٢٠١٧ الموجة الثانية من "الضفدعة" النارية لأهم فصائل الثورة في الشمال من طرف هيئة تحرير الشام، فوقعت مواجهات دامية، واقتتالات متتالية، أدت (مع أسباب أخرى) لتقهقر الثورة وخسارتها لمئات القرى وعديد المناطق.

خاتمة

لطالما كانت إستراتيجية الدول وأجهزة الاستخبارات في القضاء على الثورات وحركات المقاومة، هي: التصفية الجسدية للأشخاص المؤثرين في قيادة العمل، ثم محاولة إيصال من زرعتهم في صفوف المقاومة إلى المفاصل والمناصب القيادية للعمل الثوري، لتستخدمهم في اتخاذ القرارات وتوجيه الأحداث بما يخدم مشروع إجهاض الثورات.

أما الإستراتيجة الجديدة فتبدو أكثر تعقيداً، وتتمثل بالتركيز على تدمير شخصيات القادة البارزين للثورة، قبل القضاء المادي عليهم، كيما لا تبقى أي قدوة عملية للشباب المجاهد. وقد كُررت هذه العملية كثيراً خلال المحطات المتعاقبة للثورة السورية. وأُستخدمت هذه الإستراتيجية بطريقة تدل على: إحاطة الدول المعادية للثورات وللأمة، بالتفاصيل الدقيقة لأنماط وآليات التفكير عند الكثير من التيارات "الجهادية المعاصرة" وعند بعض الناس. فمجرد نشر الأخبار والصور والتحليلات، المخونة لقادة وفصائل الثورة (مهما بلغت تضحياتهم)، كفيلٌ بإشعال محرقة داخل صفوف الثوار، تؤدي في نهاية المطاف، ليس فقط إلى ظهور الضفادع، بل إلى استئسادهم، ما لم تتغير هذه العقلية.



رؤية للعمل | م.أحمد مولانا

مع اشتداد موجة الثورات المضادة التي ضربت بلدان الربيع العربي، وتبجح الأنظمة الاستبدادية ببلاد العالم الإسلامي في ممارسة المزيد من تبديد الثروات، وتدمير المقدرات، والبطش بكل من يعترض على سياساتها. صار أبرز سؤال يطرحه المهتمون بأمر الأمة ما العمل؟ وماذا نفعل؟!

وسبق في عدة مقالات أن تناولت مفردات تشكل رؤية للعمل في الواقع الحالي، وفي هذا المقال سأجمع المحاور الأساسية لتلك الرؤية بحيث تكون واضحة في ذهن القارئ، بينما يستطيع من يود قراءة المزيد من التفاصيل والأمثلة مراجعة المقالات السابقة .

وتلك المحاور هي:

- صناعة الوعي.
- التطوير الذاتي والمبادرة الفردية.
- تنسيق وتوحيد الجهود لا الجماعات.



في ظل أجواء التراجع والانكسار تروج أطروحات الاستسلام، فالبعض يرى شراسة الأعداء، والثمن الضخم الذي تدفعه الشعوب المسلمة طلباً للتحرر، فييأس من إمكانية التغيير، ويدعو للاستسلام باعتباره أخف الأضرار. بينما يطرح آخرون أطروحات انسحابية تتمثل في الدعوة للاهتمام بقضايا فلسفية وفكرية بعيدة عن لب المعركة، واعتزال أي صراع مع الأنظمة، فهذا أحفظ للأرواح، وأبعد عن استثارة الخصوم والأعداء.

هذه الأطروحات في الحقيقة تهدر كافة مكتسبات حقبة الربيع العربي، والتي من ضمنها اتضاح خريطة الخصوم، ومكونات الصف الإسلامي نفسه، وواقع الأمة عموماً، وانحيازات كل طرف، وأهدافه الحقيقية. ولذا فمن المهم في هذه المرحلة دحض تلك الأطروحات، والحفاظ على الوعي الذي تكون بمشقة وثمن باهظ خلال الأحداث، وتغذيته دائماً، ومنع الردة للخلف إلى وضع كنا نثق فيه بخصومنا مثلما كان الموقف في مصر تجاه الجيش قبل الانقلاب، أو نرمز فيه رموزاً صُنعت على أعين الأعداء أو تقودنا فيه قيادات متكلسة.

> إن هذا الوعي يمكن أن نواصل صناعته سواء بأنفسنا عبر الكتابة والنقاشات واللقاءات المباشرة، وتشجيع الأصدقاء والمعارف على قراءة الكتب المفيدة التي تشرح لهم الواقع، وتبين تاريخه وخلفياته وتطوراته. أو عبر غيرنا من خلال دعم الشخصيات الجيدة والواعية، وذلك بحث الآخرين على القراءة لهم، والتعرف على أفكارهم. إذ نجد غالباً الشخصيات الانتهازية والمتمحورة حول ذاتها تعكف على التصدر وفرض نفسها، بينما الشخصيات الجيدة كثيراً ما تتوارى حرجاً وحياء، حتى تعوذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جلد الفاجر وعجز الثقة.

التطوير الذاتي والمبادرة الفردية



❞ إن العصر الذي نعيش فيه لم يعد عصر القوى العظمى والدول القوية والجماعات الكبيرة بمفردهم، إنما دخل المشهد لاعبون جدد أصغر لهم القدرة على التأثير بشكل كبير في الأحداث، بل وفرض أمر واقع على الكيانات الأكبر، سواء في الجوانب الاقتصادية أو الإعلامية أو السياسية أو الأمنية والعسكرية. فنحن نعيش في ظل تطورات تقنية، وتراجع في سيطرة الأنظمة القمعية على المجال العام، مما يمكن الافراد من التأثير والفعل مهما كانت إمكاناتهم محدودة، طالما توافرت لديهم الإرادة والعزيمة والإصرار على تقديم شيء نافع. ❝

وهذا يتطلب من المرء أن يطور ذاته، وينمي مهاراته، ثم يختار بعض الثغور الشاغرة، ويسعى لسدها. وهذه الثغور تتنوع تنوعاً هائلاً مثلما يتنوع الأشخاص وتختلف مهاراتهم. (فهناك من يملك عقلية شمولية تؤهله للرؤية الكلية للمشهد ورسم الاستراتيجيات المحكمة، وهناك من يملك فهماً دقيقاً وذاكرة قوية تؤهله لأن يكون مشروع عالم في الشريعة يتصدر للإفتاء في النوازل والمستجدات، وهناك من يملك كاريزما وقدرة على الأداء الإعلامي المميز والتأثير في عموم الجماهير، وهناك من يملك سمات تؤهله لأن يكون مربياً ناجحاً يشرف على بناء الأفراد وتكوين الكوادر والارتقاء بهم، وهناك من يجيد لغات أجنبية تتيح له ترجمة مجالات لم تترجم للعربية حتى اليوم، مثل علوم الاستخبارات المتنوعة ومكافحة التمرد،

وهناك من يملك شغفاً هندسياً وقدرة على الابتكار والاختراع لمعدات وأجهزة وبرامج تضيق الفجوة التقنية بيننا وبين الغرب.. وهناك من لا يملك أي ميزة ذاتية عقلية أو علمية، ولكنه يستطيع أن يفيد النماذج السابقة عبر أمواله أو دوائر علاقاته الواسعة التي تتيح فتح مسارات رعاية وعمل أمام الأصناف السابقة).

توحيد الجهود لا الجماعات



يبرهن الواقع الحالي على افتقاد أي إدارة مركزية تقدم رؤية وتصيغ حلولاً للأزمات. بينما الأعداء ينسقون جهودهم على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية ضمن غرف عمليات مشتركة. وهذه المفارقة يمكن حل معضلتها عبر مستويين:

الأول: محور رأسي متعلق بالقيادات الإسلامية ذات الخط التغييري على الجملة، من خلال تنسيق أنشطتها، وتكميل بعضها لبعض، فهناك فئات وشخصيات نخبوية لديها رؤى وأفكار وتصورات متماسكة وجيدة، وهناك فئات أخرى لديها امتدادات مجتمعية وشعبية، وفئات ثالثة لديها إمكانات مالية جيدة، وفئات رابعة لديها خبرات تقنية وعسكرية ..إلخ.



الثاني: محور أفقي متعلق بعموم الأفراد، ويجري خلاله تأسيس أعمال مشتركة بين عناصر التيار الإسلامي لا تعتمد على البعد الفئوي أو الانتماء التنظيمي، وتهدف لتحفيز الأدوار الفردية والجماعية الصغيرة لمواجهة غياب المركزية. وبالتوازي مع العمل على بناء مركزيات داعمة، وتصدير رموز في مناطق الشتات المختلفة لمواجهة حملات الاستئصال، وتجفيف المنابع البشرية، وتصفية الرموز التي تتعرض لها بعنف منذ بدء موجة الثورات المضادة.



وأحسب أن هذا سيربط بين محور صناعة الوعي، ومحور التطوير الذاتي والمبارد الفردية، لتقدم المحاور الثلاثة معاً رؤية يمكن العمل عبرها فضلاً عن تطويرها، للقضاء على حالة التيه والجمود التي تضرب جنبات التيارات الإسلامية حالياً.

ما لا تعرفه عن ثورة التحرير الجزائرية (١)

الصغير منير

لا يمكن أن تُحاكم ثورة أو حركة سياسية أو عسكرية إلى غير أهدافها المعلنة التي سطرها مؤسسوها، ولا يمكن أن تُحاكم ثورة أو حركة بمعايير عصر وسياقات تاريخية غير عصرها وسياقاتها التاريخية، وليس منهجاً صحيحاً أن يُطلب الكمال والنقاء والطهارة في الثورات والحركات السياسية خاصّة، لأنّ هذا لم يقع من قبل في التاريخ، أيّ تاريخ، ما عدا عصر النبوّة المشرق وسنوات من عصر الخلافة الراشدة، وحتى أثناء هاتين الفترتين كان البشر يخطؤون ويظلمون وينزلون عن المثل الأعلى ويسقطون فيما تلجئهم إليه طبيعتهم البشرية الغالبة. وليس هذا تبريراً للخطأ والظلم والانحراف ولكنه توصيف لواقع تنقله الروايات بالأسانيد الثابتة في السنّة والسيرة والتاريخ.

أمّا بعد ذلك في عصر بني أمية وما تلاه من تاريخ الأمّة المسلمة بكل شعوبها وتنوعها وتحدياتها في صراعها مع أعدائها أو في سعيها لتمكين نموذجها الحضاري والسياسي الخاصّ بها، فقد كان الأمر أكثر وضوحاً وبروزاً، ولم يكتمه المؤرخون ولا يستطيعون ولو أرادوا، ولم يعدّه الفقهاء والعلماء سبباً يجيز لهم الدعوة إلى الانفضاض على الجهاد، أو الإصلاح السياسي، أو عدم الالتفاف حول القادة والمصلحين، أو حجّة للتخذيل والإرجاف وترك جهاد العدوّ الكافر المحتلّ الغازي، أو اعتزال الشأن العامّ وترك المفسدين يعيثون في الأرض بحجة انتشار الفساد وفشوّه. وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم والسير بآلاف القصص والمواقف والفتاوى والأحداث التاريخية التي ترسّخ هذا المعنى وتبيّن كيف تعامل معه العلماء الربانيون والمصلحون والمجاهدون وعموم الأمـــــــة.

إنّ القاعدة الكبرى في هذا الشأن أن الأمة فيها السابقون بالخيرات والمقتصدون والظالمون لأنفسهم، وفيها - وهم الغالب الأعمّ - الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، وفيها المطيعون والعصاة، والمجاهدون والقاعدون، ومرضى القلوب والمرجفون والمنافقون، وفيها ومن خيارها أحياناً مَن يريد عرَض الحياة الدنيا، والسمّاعون للمنافقين والمشيعون للفاحشة والذين يلمزون المطّوعين في الجهاد والعلم والصدقات وغيرها.

لقد كانت هذه النماذج كلها في أطهر مجتمع عرفته البشرية، وتحدّث القرآن عنها وشرّحها حتى لم تخفَ منها خافية، وذكرت السيرة من أخبارهم ما أكثره مشتهر مستفيض. فليس من العدل إذن ولا من الواقعية إسقاط ثورة أو حركة بحجة وجود مثل هذه النماذج فيها قلّت أو كثرت، بل المنهج الحقّ هو النصح والترشيد والتقويم المستمرّ والإصلاح الذي لا ينقطع من داخل هذه الثورات والحركات أو من خارجها، وتقديم أكثرها أستقامة وأقربها من الحق الخالص ومدّ اليد إلى الضعيف منها لاستنقاذه والإنقاذ به ومعه، ومع ذلك كلّه سوف تبقى حظوظ الأنفس حاضرة وطبائعها غالبة والكمال عزيز جداً. أمّا على مستوى المحاكمات التاريخية والتقييم اللاحق فمن الإنصاف الواجب المتحتّم ألا نحاكم أيّ ثورة أو حركة بنموذج عصر النبوّة و الخلافة الراشدة فنظلمها، أو بتصورات ذهنية نظريّة نؤمن بها فنظلمها أيضاً، ومن الفقه أن يكون عصر النبوة والخلافة الراشدة نموذجاً نسعى إليه ونجهد في استلهامه والنسج على منواله ومعرفة قربنا أو بعدنا من الحقّ الخالص أو الغالب، لا أن نتّخذه سوطاً نجلد به العاملين والمجاهدين والمصلحين إذا أخطؤوا أو قصّروا أو ضعفوا.

وثورة التحرير الجزائرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢) نموذج لهذه الثورات التي يمكن تنزيل هذ الفَهم عليها، ابتداء بالتحضير لها، وانتهاء بتحقيقها للاستقلال أو الجلاء العسكري بعبارة أصحّ وأدقّ، مروراً بما حدث فيها من أحداث عظام لا يمكن فهمها إذا أصررنا على النقاء والطهرانية والصفاء المطلق الذي لا وجود له إلا في الأذهان.

لقد كانت ثورة شعب مسلم ضد عدوّ محتلّ كافر، وكان الجزائريّون يسمّون الفرنسيّ مدنياً أو عسكرياً بـ(الروميّ)، واتّخذت الثورة لنفسها مصطلحات مثل الجهاد والمجاهدين والشهداء والمسبّلين[١] وغيرها، وكانت كلمة التكبير: (الله أكبر) حاضرة في كل معركة وكمين،

---

(١) المسبّل: هو الجزائريّ الذي توكل إليه مهامّ مدنيّة قد يكون لها علاقة بالسياسة أو الإدارة لصالح جيش التحرير وسمّي بذلك لأنّه يقدّم نفسه في سبيل الله بسبب خطورة مهمته وتعرّضه للكشف والتعذيب والقتل في أي لحظة.



وكانت كلمة السرّ ليلة انطلاق الثورة هي: عقبة/ خالد. ولو رحنا نسرد ونتتبّع هذه الجزئيات والتفاصيل لوجدنا منها ما يكفي للتدليل على إسلاميّة الثورة في عمقها الشعبي وبُعدها العقديّ، بعيداً عن أدبيّات الحركات الإسلاميّة ومصطلحات الجماعات الجهاديّة التي طُرحت بعد ذلك، والتي ليست مقياساً ولا مؤشّراً للحكم على ما سبقها من الثورات وحركات الجهاد.

اختراق الثورة في أواسط عهدها، والمآلات التي انتهت إليها الجزائر بعد الجلاء العسكريّ الفرنسيّ -وأجد صعوبة في تقبّل أنّه كان استقلالاً حقّق السيادة والحريّة التي كان ينشدها الشعب الجزائريّ- وتحوّل الدولة الجديدة إلى دولة وظيفيّة تؤدّي وظيفة الاحتلال نيابة عنه وبخسائر أقلّ، وتلبيس وتدليس أكبر لا يؤثّر كثيراً في صدق المجاهدين والشهداء، ولا يطعن في تضحيات الشعب، وليس سبباً في التنكّر لما بذلوه، وهو شيء كبير جداً بمعايير ذلك الزمن وحتى الآن.

وشهادات المجاهدين ومذكراتهم و مئات بل آلاف الأحداث والمواقف التي يعرفها كلّ جزائريّ عن الثورة، تُثبت أن ما حققته الثورة من نجاح وإنجاز عسكريّ (وسياسيّ في بعض جوانبه)، إنما كان ببركة وصدق واحتساب وإيمان أولئك البسطاء الصادقين، الذين لم يكونوا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً، ولم يدخلوا في صراعات السلطة والزعامة والغنائم والمكاسب وما صاحبها من تصفيات وإعدامات واغتيالات، ولم يشاركوا في مفاوضات ولا جلسوا مع عتاة الاحتلال من ساسة وعسكريين.

لقد كان ما تعرّضت له الثورة الجزائريّة ممّا لا يزال موضع أخذ وردّ هو نفسه ما تعرّضت له كل حركات التحرّر والحركات الجهاديّة لاحقاً، من اختراق، واغتيالات، وتوظيف، وتحكّم عن بعد، واستغلال للتمويل، وصراع بين الساسة والعسكريين، وبين مَن في الداخل ومَن في الخارج، وحالات المدّ والجزر في التأييد الشعبيّ، وضراوة وقسوة البطش والقمع والإرهاب والدمار النفسي والاجتماعي والاقتصادي الذي مارسه الاحتلال، ومناورات الأنظمة الإقليمية والدول الكبرى، وألاعيب أجهزة الاستخبارات، والصراع على القيادة، وغير ذلك مما عشنا طرفاً منه وما زلنا نراه ونسمعه ونقرؤه.

وهذا التشابه يدلّ إلى حدّ كبير على نوع من وحدة القوانين أو السنن التي تحكم حركات التحرّر والجهاد والثورات التي عرفها ويعرفها العالم العربيّ والإسلاميّ، والتي تمكّن في الوقت ذاته من استنباط كمّ هائل من الدروس والعبر وقوانين الصراع والتدافع، لو خلصت النيّات وصدقت العزائم وتجرّدت الأنفس من حظوظها المدمّرة. ولعلّ هذا هو ما جعل الجيش الأمريكيّ يعيد عرض فيلم (معركة الجزائر)[٢] على ضباطه بعد احتلاله للعراق ليوسّع مداركهم حول تقنيات حرب المدن.

لم يكن الشعب الجزائري قبيل الثورة وأثناءها مؤدلجاً (كما يقال اليوم)، بل كان شعباً مسلماً على الفطرة، وكانت نسبة ٩٠ في المئة منه أمّيين، وكان الفقر المدقع ينهشه في البوادي والأرياف والمدن، وكانت (أيديولوجيته) التي خاض بها الثورة في تحدّ وعزم وشجاعة منقطعة النظير بسيطة جداً وعميقة جدّاً: نحن مسلون والفرنسيون كفار، ونحن على أرضنا والفرنسيون محتلّون، وما نقوم به جهاد في سبيل الله، ومن مات منّا شهيد، ومن قُتل منهم ففي النار، وإذا انتصرنا فإنه نصر للإسلام والمسلمين. هكذا.. ولا شيء أكثر من ذلك.

ولقد كانت واحدة من أشهر الأغاني التي غنّاها المطرب محمّد العنقى بعد الاستقلال مباشرة مطلعها: يا محمّد مبروك عليك ** والجزائر رجعت ليك ..وكان يقصد بمحمد النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم، ورجوع الجزائر إليه هو رجوعها إلى دار الإسلام. وكان من أوّل ما فعله الجزائريّون بعد الاستقلال أيضاً هو نزع الصليب من فوق مئذنة مسجد كتشاوة في حيّ القصبة الشهير الذي بناه العثمانيّون، والذي حوّله الفرنسيّون إلى إسطبل ثمّ كنيسة بعد ذلك،

(٢) فيلم أنتج عام ١٩٦٦ من إخراج المخرج الإيطالي الشهير جيلو بونتيكورفو، يروي أحداث معركة مدينة الجزائر الشهيرة، وإضراب الأيام الثمانية، وعُدّ توثيقاً مهما جدّاً لحرب المدن، وهو مصنّف من بين أفضل الأفلام السينمائية، ونال جوائز كثيرة جداً، وقد كان ممنوعاً من العرض في فرنسا لأكثر من ٤٠ سنة، حتى عام ٢٠٠٤ م، بينما عُرض في مقرّ وزارة الدفاع الأمريكيّة (بنتاغون) قبل بدء عرضه في دور السينيما الأمريكية.

ورُفع الأذان وأُقيمت أوّل جمعة فيه بعد الاستقلال أمّ فيها الحشود الشيخ الإمام محمّد البشير الإبراهيميّ بخطبة عصماء[٣]، وهذه وغيرها أحداث فيها من الرمزيّة ما لا يشكّ في دلالته ومغزاه عاقل أو مؤرّخ.

بعيداً عن السرد والاستطراد؛ نستطيع وضع مجموعة من العناوين لمحطّات أو ملامح مفصليّة في الثورة الجزائريّة، أراها ما زالت تصلح للدراسة والاستفادة والاعتبار والاستلهام منها بحسب ما تتطلبه ظروف وسياقات كل شعب وبلد، وما تتفتّق عنه قرائح القادة المبدعين.

١ الرصيد المتراكم

لم تكن ثورة التحرير الجزائريّة طفرة تاريخيّة، معزولة عمّا سبقها، نسجت على غير مثال ولا نموذج سابق. ولم يكن قادتها ومجاهدوها ينطلقون من نقطة صفريّة يؤسّسون فيها للثورة في كلّ شيء. لقد عرف الجزائريون عدداً كبيراً جدّاً من الثورات في كلّ جهات ومناطق الجزائر، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً منذ الأشهر الأولى للاحتلال وعلى مدى يقارب ٩٠ سنة، كانت بدايتها مع الأمير عبد القادر الجزائريّ عام ١٨٣٢ م وآخرها مقاومة الطوارق الملثّمين عام ١٩١٩ م. شملت هذه الثورات كل التراب الجزائريّ دون استثناء تقريباً. ولم تكن هناك أي استراحة أو انقطاع بينها تجاوز سنتين على الأكثر. وشارك فيها العرب والبربر من شاوية وقبائل وطوارق.

ولقد كان من سمات هذه الثورات البارزة هي أن عمودها الفقري وموردها البشريّ كان سكّان الأرياف والبدو خاصّة، وقد يكون الأمر مفهوماً ومبرّراً إذا لاحظنا أن الحواضر والمدن الكبرى سقطت مبكّراً تحت سلطة الاحتلال، وأن سكّانها لم يكونوا مؤهّلين للمقاومة والجهاد بما يتطلبه من صبر ومطاردات وجوع وعطش وشظف ومعرفة بمسالك الأرض وجبالها وقدرة على التموّن من البوادي، بطريقة لا يمكن أن تحدث في الحواضر والمدن.

---

(٣) هي خطبة عصماء بليغة راقية، ألقاها الشيخ يوم الجمعة ٠٥ جمادى الثانية ١٣٨٢، الموافق لـ ٠٢ نوفمبر ١٩٦٢ م، وحضرها كل رجال الدولة والسفراء ووفود الدول العربية..من بين فقراتها: "يا معشر الجزائريين: إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان قد يئس أن يُعبَد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك". فهو قد خرج من أرضكم ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطرتم إليه، وما أبيح للضرورة يُقدّر بقدرها".

وكان من سماتها أيضاً أن قادتها كانوا من شيوخ الطرق الصوفية وبالأخصّ الطريقة القادريّة الرحمانيّة، وأنّه لم يشُبها ذلك ولا أثّر في عطائها وفاعليتها، فقد كانت الزوايا والربط الصوفية آنذاك هي الجهة الوحيدة المنظمة، والتي تمتلك شبكة قوية ومعقّدة من العلاقات الاجتماعية، وتمتلك ولاء الأتباع وطاعتهم واستعدادهم للموت إذا أعلن الشيخ الجهاد أو سانده ودعمه.



عمر المختار | عبد الكريم الخطابي | الإمام شامل

وقد حدث مثل ذلك في ليبيا مع الإمام السنوسي ثم عمر المختار، وحدث في المغرب مع القائد عبد الكريم الخطابي، وحدث في بلاد القوقاز مع الإمام شامل، الذي كانت تربطه علاقة صداقة قوية بالأمير عبد القادر.

ومن سمات هذه الثورات هو حضور الانتماء القبلي فيها بقوّة، واستثمار حميّة وعصبيّة القبيلة من طرف القادة، للتجنيد والحشد والحثّ على الجهاد والنصرة والنفقة في سبيل الله، حتّى أن عدداً من هذه الثورات كانت تُنسب إلى قبائل وأعراش وتتسمّى بها أكثر ممّا تتسمّى بأسماء قادتها أو غيرهم.

ونحن في هذه الفقرة نتحدّث عن الثورات الكبرى المسلّحة والمنظّمة والتي امتدّت جغرافيا لتشمل مساحات تعادل اليوم مساحات دول كاملة، وانخرط فيها آلاف المجاهدين، وبلغت قدراً من التنظيم والتراتبية يسمح بتصنيفها ثورات أو حركات جهاد وتحرّر، وقد بلغ عددها على الأقلّ ١٥ ثورة كبرى.

أمّا عن حركات التمرّد التي كان يعلنها ويقودها متمرّدون وينضمّ إليها عشرات من الأفراد يزعجون الفرنسيين ويقتلون منهم وينصبون لهم الكمائن ويسلبونهم أموالهم ويحرقون مزارعهم ويغتالون من يواليهم من الجزائريين، فقد كانت لا تكاد تنقطع أبداً. وما مِن قبيلة ولا عرش إلا وفيه ثائر متمرّد من هذا النوع، وقد خلّد الشعر الشعبي مآثر هؤلاء واحتفظ التاريخ بأسماء العشرات منهم ما زالت أسماؤهم محفوظة ليومنا هذا. وقد بقي بعض هؤلاء المتمرّدين حتى أدركتهم ثورة التحرير عام ١٩٥٤ م فانضمّوا إليها ونكّلوا بالفرنسيين وأثخنوا فيهم وأبلوا البلاء الحسن واستشهد أكثرهم رحمهم الله تعالى.

إن هذا الرصيد الكبير، والتجارب الغنيّة، وحجم الانتصارات والنكسات أيضاً، وما وقع في هذه الثورات من أخطاء كان كلّه زاداً نهل منه قادة الثورة واستفادوا منه بطريقة مباشرة وغير مباشرة وبقصد منهم وبغير قصد ولا وعي أحياناً. وأقلّ ذلك هو بقاء جذوة الثورة والرفض والتمرّد حيّة مشتعلة، وبقاء قدر من الغضب والحقد والحنق على المحتلّ في النفوس والمشاعر لم يختفِ، وتشكّل رصيد من التجارب والخبرة والمعرفة بنفسية وطبائع الشعب الجزائري وبأساليب المحتلّ واستراتيجياته استفادت منه الثورة أيّما استفادة، بَنَت وراكمت عليه وكانت تاجَه وخلاصته وثمرته الطيّبة.

إنّ الشعوب التي تفتقد الرصيد الثوريّ والجهاديّ وتراكم خبراته من جيل إلى جيل سوف تجد بلا شكّ صعوبة كبيرة في التأسيس لثوراتها ضد المحتلّين والغزاة، وفي التعامل مع الحالة الثوريّة وإدماج الشعب في العمل الجهادي وهو الشعب الذي انقطعت صلته منذ أزمان بعيدة بأي حراك ثوريّ مسلّح، ولم يعد قادراً على تصوّر مقدّمات وسير ومآلات الثورة بسلبياتها وإيجابياتها، وسوف تبدو له أي دعوة إلى طرد المحتلّ والغازي مغامرة ومخاطرة وتغريراً ولا يردم هذه الفجوة إلا وضوح الفكرة وحرارة العقيدة.

على أن الرصيد المتراكم من التجارب السلبيّة والانتكاسات والهزائم دون نكاية في العدوّ ولا إرهاق ولا استنزاف لقوته على الأرض سيكون أثره سيّئاً أيضاً ومحبطاً و(مفرملاً) لأي حراك ثوريّ، عندما تُستَحضَر الهزائم والتضحيات التي سبقت دون جدوى ولا فائدة منها. ولهذا فقد احتاج الجزائريّون أكثر من ثلاثة عقود ليرجعوا إلى مربّع الثورة والجهاد ويقتنعوا بضرورة التضحية بالدماء وبذل الأنفس رخيصة في سبيل الحرية، مع تطوير الأداء الثوريّ من خلال مراجعة وتقييم ودراسة التجارب السابقة.

لم يكن الرضوخ والاستسلام للمحتلّ الفرنسي وارداً عند قادة الثورات التي سبقت ثورة التحرير، إلا في حالة الضعف والعجز عن الاستمرار والمواصلة بسبب قوّة العدة أو ضعف التسلّح والتمويل أو انفضاض الناصر والمعين. ولكن بعد ما يقارب ٩٠ سنة من القتال الضاري الذي فقد فيه الجزائريّون بحسب الإحصائيات ما متوسّطه ٦ ملايين قتيل، وليس هذا العدد بمستبعد أبداً حين نتذكّر أن فرنسا قتلت من الجزائريين في ثلاثة أيام ما يفوق ٤٥٠٠٠ قتيلاً عام ١٩٥٤، وحين نتذكّر مثلاً إبادة قبائل كاملة، مثل ما حدث لأولاد رياح في محرقة مغارة الفراشيح بدائرة عشعاشة في ولاية مستغانم[٤] وما حدث في الأغواط من إبادة سكان المدينة كلّهم، وكتب ومذكّرات جنرالات وضباط الجيش الفرنسي حافلة بمشاهد بلغت من الوحشية أقسى ما يتصوّره خيال ممّا يجهله كثير من القرّاء والمثقفين العرب غير المتخصصين في التاريخ المعاصر، ولا غرو في ذلك ففرنسا كانت تحتذي بالنموذج الاستئصالي الاستيطاني الأمريكي وتحاول استنساخه في الجزائر لولا أنّ الله سلّم ببركة الجهاد والمجاهدين.

بعد كل هذه التضحيات وهذا العدد المهول من القتلى والشهداء، وبعد الإعياء والإنهاك والاستنزاف البشري والنفسي والمادّي الذي أصاب الجزائريّين، بدا لعدد من النخب العلمية والسياسيّة أن يجرّبوا العمل السياسي من داخل منظومات المحتلّ الفرنسيّ السياسية والقانونيّة، فأسسوا أحزاباً وجمعيات وخاضوا في انتخابات تشريعية وبلدية صورية شكلية، ورفعوا مطالب واحتجاجات، وفاوضوا وتنازلوا، ونادى بعضهم بالإدماج والتجنيس لولا رفض الشعب الجزائريّ وفتاوى العلماء، وعلى رأسهم الشيخ ابن باديس الذي اعتبر التجنّس ردّة عن الإسلام، وقال في قصيدته المشهورة :

شعب الجزائر مسلم *** وإلى العروبة ينتسب.
من قال حاد عن أصله *** أو قال مات فقد كذب.
أو رام إدماجاً له *** رام المحال من الطلب.

(٤) مجزرة قام بها الجنرال بيليسي الفرنسي ضد قبيلة أولاد رياح، التي التجأت إلى المغارة فراراً من بطش جيش الاحتلال، فأحرق داخلها خنقاً بالدخان والنار ٢١٠٠ شخصاً مع دوابّهم وأنعامهم عام ١٨٥٤ م.

وقال فيه الشاعر مفدي زكريا في نشيد حزب (نجم شمال إفريقيا) عام ١٩٣٦ :

فلسنا نرضى الامتزاجا *** ولسنا نرضى التجنيسا .

ولسنا نرضى الاندماجا *** ولا نرتدّ فرنسيسا .

رضينا بالإسلام تاجا *** كفى الجهال تدنيسا .

فكلّ من يبغي اعوجاجا *** رجمناه كإبليسا .

ولم يدُم الأمر أكثر من ثلاثة عقود حتى انتهت قناعات قطاع كبير من الجزائريين المهتمّين بالشأن العام من الساسة إلى أنهم يسيرون في طريق مسدود، وأن خيوط اللعبة كلّها في يد فرنسا، وأن ما يبذل من جهود هو استنزاف من نوع آخر. وكان على رأس هؤلاء السيّد مصالي الحاج رئيس وقائد حزب الشعب الجزائريّ، والذي كان أوّل من رفع مصطلح (الاستقلال) صريحاً واضحاً، وأوّل من نادى به سياسيّا ورفع به عقيرته، وصاغ خط حزبه واستراتيجيته السياسية والإعلامية على أساسه. وكانت بقيّة التنظيمات تتفاوت في وضوح فكرة الاستقلال والمطالبة به والإصرار عليه، بعيداً عن البقاء في فلك فرنسا أو فكرة الفيدرالية، أو مجرّد المطالبة بالحقوق السياسية والاجتماعية والثقافيّة ضمن الفضاء الكولونيالي الفرنسيّ.

ولعلّ جمعية العلماء كانت أقرب هذه التيّارات قرباً من طرح حزب الشعب برغم الخصومات والتنافس الذي كان بينهما، برغم أنها لم تكن حركة سياسيّة ولم تتبنّ النهج الثوريّ بل الإصلاحيّ التربويّ التثقيفيّ، وبرغم تأرجح خطابها بين التأكيد على إسلام الشعب الجزائري وعروبته وهويته الأصيلة والمطالبة بأن ينال حقوقه وحريته وسيادته مثل كل شعوب العالم، وبين ميل إلى المهادنة وحرص على عدم الصدام مع الإدارة الفرنسيّة واقتراب أحياناً من أطروحات فرحات عبّاس السياسيّة مع رفض صريح وحازم لمطالبه الاندماجيّة.

وما أن حدثت مجازر عام ١٩٤٥ م بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية بعدد شهداء لا يقلّ عن ٤٥٠٠٠ جزائري، حتى بدا واضحاً جليّاً أن فرنسا لا يردعها إلا السلاح وأن الحديد لا يفلّه إلا الحديد.

وأصبح لهذه الأطروحة أنصار ومؤيّدون، وانتشرت بين مناضلي (حزب الشعب) خصوصاً، وبقيت تتخمّر وتتفاعل في الإعلام والسياسة وداخل فئات المجتمع ونخبه السياسيّة لفترة تسع سنوات تقريباً، نضجت فيها واستوت وصارت قناعة راسخة عند مئات من الشباب المتسيّس لا يرون حلًّا ولا مخرجاً في غيرها، وأنّ كل ما سواها إنما هو استنزاف وتضييع للوقت والجهد والرجال والموارد.

كانت ولادة هذه الفكرة: (أنّ الاستقلال لن يتأتّى بغير ثورة مسلّحة منظّمة) في حدّ ذاته تطوراً كبيراً في التعامل مع واقع الاحتلال. وكان هو الدافع لما جاء بعده من تنظيم سرّي وإعداد ثوريّ. ولولا وضوح هذه الفكرة ورواجها وتبنّيها ولو لمدّة تبدو طويلة، وما صاحبها من تجارب لما أمكن للثورة أن تشتعل شرارتها وأن يلتفّ حولها الجزائريّون.

إنّ أي ثورة تحرير أو جهاد ضدّ الغزاة المحتلّين وعملائهم من الطغاة والمستبدّين لا يمكن أن تبدأ فضلاً أن تستمرّ وتنجح بدون (فكرة) ..ولن تنجح الفكرة بلا (عقيدة) يسترخص فيها المقاتل والثائر نفسه ويقبل على الموت ويدفع المغارم ويزهد في المغانم ويضحّي بطيبات الحياة واستقرار الأسرة والأمن والعافية. وإنّ الفكرة في الحالة الجزائريّة صاغها حزب الشعب قبل الثورة بقرابة عقد من الزمن، واشتغل عليها وأسّس لها وروّج وخطّط ونظّم وضربت قاعدته الشبابيّة وتمّ حلّه وطوردت قياداته وضيِّق عليه، ولكن الفكرة كانت قد وُلدت وغرست بذرتها في العقول والمشاعر، ثم كان عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين ومدارسها وصحافتها ومحاضنها التربويّة كفيلة بصياغة البعد العقديّ، متمثلاً في إحياء سير السلف، وكتابة تاريخ الجزائر المسلمة، وتعليم القرآن وتفقيه الجزائريين بدينهم، وبعث الاعتزاز بالهويّة الإسلاميّة والحديث المستمرّ لشيوخها وشعرائها وكتّابها عن أمجاد المسلمين وانتصاراتهم وأزمان عزّتهم وقوّتهم. لم تكن الجمعية وحدها من تولّت هذا الجانب؛ فقد كان حزب الشعب حزباً وطنياً كلّ أعضائه مسلمون لا إشكال لديهم مع الإسلام وانتماء الشعب الجزائري العربي الإسلامي، ولا مع مفاهيم الجهاد والشهادة، ولا مع أحكام الإسلام في الشعائر والأحوال الشخصية والقضاء. كما أسهمت الجمعية في كتابات مؤرّخيها ومقالات وحاضرات شيوخها في قسط من ترويج وتأصيل فكرة الاستقلال والتحرّر من الاحتلال الفرنسي، وإن بحدّة أقلّ ومواجهة أكثر هدوء وأبعد عن الصدام.

وللحديث بقيّة ..

انفراد:
حوار مع المتحدث الرسمي لحركة حسم
"خالد سيف الدين"



في أول حوار إعلامي له:

الشعب لم يخذل الثورة يوماً، وإنما خذلته القوى السياسية المتصدرة، ونحن الآن في مرحلة تجهيز وإعداد

حققنا بناء شرعية المقاومة وكسر احتكار النظام للقوة ونعترف بضعفنا في التواصل مع الجمهور

تقديم مجلة كلمة حق

لطالما سعى الإعلاميون للحصول على تصريحات لمؤسسي الحركات المسلحة والمتحدثين باسمها، سعياً للتعرف على أفكارها وإخراج استراتيجيتها ونهجها للجمهور، بدلاً عن الاكتفاء بالتقارير الأمنية التي تتحدث من وجهة نظر خاصة بها. ومِن أشهَر ما تم بهذا الصدد اللقاءات التاريخية مع مؤسس تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، التي أجراها الكاتب الكبير عبد الباري عطوان ودوّنها في كتابه "القاعدة.. التنظيم السري"، ذلك الكتاب الذي تُرجم إلى ١٥ لغة وأعيد نشر طبعته الإنجليزية أربع مرات، وكذلك التقى بابن لادن الصحفي البريطاني المشهور روبرت فيسك، ونقل من خلال مقالاته بالصحف الإنجليزية تصريحات حصرية لابن لادن، وأيضاً الصحفي المصري يسري فودة، وقد أفاده ذلك في تحقيقه الصحفي المتميز الذي خرج في صورة حلقات متعددة تحت عنوان: "الطريق إلى ١١ سبتمبر".

وعبر شهور، حاولنا في مجلة كلمة حق مراسلة "حركة سواعد مصر" المعروفة اختصارا بـ"حسم"، عبر حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي التي أعلنت عنها كمصادر رسمية لها، لكن تعرُّض بعضها للإغلاق وتعذُّر تلقي الرد أحياناً على هذه المحاولات أخّر من إجراء هذا الحوار، وقد طمعنا أن يكون الحوار مباشراً عبر أي وسيلة تواصل إلا أن الردود التي وصلتنا كانت بالرفض وتفيد بتعذر هذا، وسمحتْ بمسار وحيد متاح هو إرسال الأسئلة وانتظار الإجابات، مع وعد بأن يكون هذا الحوار هو أول حوار لمتحدثها الرسمي "خالد سيف الدين"..
وقد تلقينا هذا الحوار قبل لحظات من تجهيز العدد للصدور.

ونؤكد على أن آراء المتحدث الرسمي للحركة المذكورة لا تتبناها بالضرورة مجلة كلمة حق، وأن مسؤوليتها تقع على عاتق قائلها وحده، مع التنويه بأننا لم نتدخل في صياغة كلمات المتحدث الرسمي لـ"حسم"، وإنما أوردناها كما وصلتنا بحروفها.

كلمة حق: أين هي حركة حسم؟ لماذا اختفت؟

خالد سيف الدين: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد رحمة الله للعالمين وبعد:

فالحركة موجودة بفضل الله وتزداد صلابة بمرور الوقت، ومسألة الظهور والاختفاء هي سياسة لا أكثر حسب ما يقتضيه الظرف، كما أن العمل المسلح المعلن هو أحد أشكال العمل فقط، وهناك أساليب وتكتيكات مختلفة يحكمها الهدف السياسي واستراتيجية العمل.

فسكوننا إعداد وتربص ونعوذ بالله من النكوص أو التراجع، فنحن كما قال عمر المختار: "ننتصر أو نموت"، فالحركة ستختفي بحق حين يختار الله أفرادها إلى جواره، ونسأله تعالى أن نقدِم عليه مقبلين غير مدبرين.

كلمة حق: هل نفهم من ذلك أن الحركة ستعود إلى المشهد عما قريب؟

خالد سيف الدين: ربما، لكن من المهم أن نوضح أن المقاومة لها شق علني وآخر خفي، خاصة في بيئة معقدة كالتي نعمل بها، نواجه فيها عدواً يستخدم كافة مؤسسات وموارد الدولة لقمع الثورة والمقاومة، فلم يعد هناك مجال لمقاومة عشوائية تهدف إلى الثأر والانتقام من المجرمين وفقط؛ بل العمل المنظم والدؤوب؛ لامتلاك الأدوات والقدرات اللازمة، لكسر جدار الخوف الذي شيّده النظام بالقتل والتعذيب والاعتقال، وتحرير بلادنا من نظام الظلم والخيانة والفساد.

والحركة تناشد كل صاحب جهد أو نصيحة وفكرة أن يتواصل معنا ويمدنا بما لديه، لكي تكون الانطلاقة الجديدة على أفضل ما نستطيع من النضج والبصيرة.

كلمة حق: تبدو الجذور الإخوانية للحركة واضحة، في لهجة البيانات المختلفة، فضلاً عما نُشر من معلومات عن المعتقلين منها.. لكن الحركة لم تروِ أبداً قصة نشأتها وجذورها.. فما هذه القصة؟

خالد سيف الدين: الحركة كيان مستقل بذاته وغير تابع لأي حزب أو فصيل، وأي ادعاءات من النظام هي محاولة للتأطير، وخلق صورة ذهنية معينة لتشويه أي فعل ثوري، ونسبته إلى فصيل معين لعزله عن جموع الشعب وجمهور الثورة.

أما عن ظروف النشأة فإن العمل الثوري المقاوم حاضر في المشهد منذ ٢٨ يناير ٢٠١١ م، بحرق أوكار القهر والتعذيب، وصدّ اعتداء قوات النظام على الشعب، الأمر الذي انتهي بانهيار جهاز الشرطة.

ومع انقلاب العسكر على الثورة وارتكابهم المجازر ضد المصريين من جديد، بدءاً من الحرس الجمهوري ورابعة، والمستمرة حتى الآن بالتصفيات والإعدامات، ظهرت المقاومة المسلحة من جديد كرد فعل تلقائي على إجرام الأجهزة الأمنية للنظام، وشارك فيها منذ اللحظة الأولى رجال وشباب من كافة التيارات وبدون أي انتماءات حتى، وهذا واضح لكل من عايش تلك المرحلة من عمر الثورة، وقد مر العمل المقاوم بأطوار ومراحل متعددة، وتطور تطوراً كبيراً وفق ما اقتضته الظروف وطبيعة المواجهة.



والنظام حين يقول بأن الحركة إخوانية فكأنه يحصر النخوة والمروءة في شباب الإخوان فقط، وهذا ما لا نرضاه لأنفسنا ولا لشعبنا ولا لأمتنا، ولا يرضاه الإخوان أنفسهم، فمقاومة المجازر هي الفطرة الإنسانية التي تمارسها كل الشعوب وكل الأمم، ومسيرة الكفاح الذي يشعله المظلومون هي طابع عام في الحياة الإنسانية. والشعب حين تحرك بفطرته في كل المواطن الثورية كان يتحرك بما يناسب الحدث والموقف، فهو سلمي في اللحظات التي تؤدي فيها السلمية إلى نتيجة، وإلا فهو يستخدم العنف الثوري الذي استخدمته كل الشعوب في كفاحها. فنحن حركة مصرية من صميم الناس الذين ثاروا وتحركوا وقرروا أن يعيشوا على أهداف هذه الثورة أو يموتوا بكرامة وهم يكافحون.

كلمة حق: ليس سهلاً أن يواجه مجموعة شباب نظاما أمنياً عريقاً كالنظام المصري، فضلاً عن كونه مدعوماً إقليمياً ودولياً.. متى بدأت تكتشف الحركة أن المهمة أصعب وأكبر مما تصورتْ؟

خالد سيف الدين: هذا صحيح بكل تأكيد، والمعركة شديدة التعقيد والصعوبة، والصدمة التي نجح النظام في توجيهها للثورة في الشهور الأولى من الانقلاب ولّدت ردود فعل سريعة وتلقائية، وكانت الحالة الشعبية ما زالت حية وملتهبة في هذا الوقت، مما رفع سقف التوقعات بحسم قريب للمعركة، لكن ولعدة أسباب، منها: اختلاف وتشرذم القوى السياسية، وضعف أدواتها، وازدياد وتيرة القمع بشكل غير مسبوق، استطاع النظام حصار الغضب الشعبي بشكل مؤقت.

لقد أدركنا مع الوقت أن المعركة أطول وأصعب، ويجب أن نتعامل مع المتغيرات في المشهد بواقعية، حتى لا نُستنزف في مواجهات دون جدوى، لكن إيماننا بالله قوي لا يتزعزع وهو القائل: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}.

ومهما تكن من قوة العدو فالله معنا وهو أقوى وأكبر، وعلينا بذل الوسع والجهد، وعلى الله ما نعجز عنه. فنحن ستار القدرة، بنا -وبغيرنا من المجاهدين الصادقين- يغير الله حال هذه الأمة، ونحن على وعد الله لنا ونسأله أن يثبتنا على الطريق فنموت عليه {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}.

يجب أن يعرف المجاهد أولاً، ويعرف كل مسلم ثانياً، أن أولئك الأعداء مهما بلغوا فإنهم تحت قدرة الله، وأنه يضلهم ويخزيهم ويخيب ظنونهم، رغم شدة مكرهم وتدبيرهم الذي وصفه الله بقوله: {وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال}، لكن الشرط الذي يهمنا هو بذل ما نستطيع من الجهد.

كلمة حق: كيف تقيّم الحركة الحاضنة الشعبية المصرية؟

خالد سيف الدين: نحن نقول وبكل وضوح إن الشعب لم يخذل الثورة يوماً، وإنما خذلته القوى السياسية التي تصدرت المشهد بكافة أطيافها، خذلته في الميادين وفي المؤسسات كذلك، وهو الشعب الذي لم ترهبه التهديدات ولم تنل منه الآلة الدعائية الجبارة في كافة الاستحقاقات الانتخابية الحقيقية التي خاضها، وكان صوته دائماً للثورة والتغيير.

ولم تجرِ منذ الانقلاب أية انتخابات حقيقية أو استطلاعات رأي نزيهة، ليدعي البعض انصراف الناس عن الثورة وتأييد نظام الظلم والفقر المتسلط حالياً.

والطبيعة الشعبية أنها تخاف من القوي المتسلط، فضلاً عن التسلط الإعلامي الكثيف الذي يحاول تشويه فطرة الناس بإخضاعهم للنظام وتوظيفهم ضد المقاومة، والواقع أن معركة الحاضنة الشعبية من أهم وأدق معارك التحرر، ونحن نعول في هذه المعركة على كل الأقلام المخلصة التي تنصر الحق، وعلى المجموعات الإعلامية التي تنشط في القنوات أو وسائل التواصل الاجتماعي، فمهما كان مجهودنا الإعلامي فلن يكون كافياً كمّاً أو كيفاً لتغطية هذا الثغر الخطير، وهذه أمانتهم ومسؤوليتهم، فالحاضنة الشعبية تتكون في جزء كبير منها عبر معركة الأفكار، ويجب على كل من يستطيع القول والكتابة والإنتاج الإعلامي أن يوظف هذه المواهب في معركة الأمة في مصر، ويجب عليهم إيقاظ الفطرة والنخوة والمروءة التي عُرف بها "أولاد البلد" وتوجيهها ضد هذا النظام الذي هو أشرس وأعنف عدو لهذه البلد.



كلمة حق: كيف تقدم حركة حسم نقداً ذاتياً لنفسها: ما هم الإنجازات وما أهم الإخفاقات؟

خالد سيف الدين: ما زال طريقنا طويلاً، ولا نعدُّ أننا أنجزنا الكثير بعد، لكن لا شك أن المسار الثوري المقاوم قد حقق إنجازات، من أهمها كسر احتكار نظام الاستبداد العسكري للقوة واستخدامها، وصار لدى الشعب طرف من هذه القوة، ويستطيع استخدامها وبشرف للدفاع عن نفسه ضد إجرام العسكر، كذلك نجحت المقاومة في بناء شرعية المواجهة بالقوة مع النظام ثأراً للشهداء ودفعاً للعدوان، هذا على المستوى العام، أما على المستوى الداخلي فقد تطورت الحركة بشكل كبير وتسعى إلى المزيد من الاحترافية والكفاءة.

أهم الإخفاقات كان في ضعف التواصل مع الجمهور، لتوضيح أهداف هذا المسار ودوافعه وطبيعته؛ لمواجهة آلة التشويه الإعلامي للنظام.

كلمة حق: ما الذي يميز حسم عن "لواء الثورة" عن "ولاية سيناء"؟

خالد سيف الدين: فرق كبير بين المثالين؛ فـ"لواء الثورة" حركة مقاومة منضبطة وواعدة ولا نكاد نجد اختلافاً في المنهج والرؤية العامة، ولكن ربما بعض الأساليب والتكتيكات، لكننا نختلف وبشدة مع نهج تنظيم "ولاية سيناء" في الغُلو والتكفير والاستبداد وفرض الوصاية، ولا نرى ذلك متفقاً مع ديننا الحنيف.

كلمة حق: كثير من عمليات حسم كانت مهاجمة كمين على الطريق، يسفر عن سقوط جندي أو أكثر.. ما جدوى هذه العمليات في الواقع المصري كما تراها الحركة؟ وهل تستحق ما يبذل فيها من تكلفة ومخاطرة؟

خالد سيف الدين: نسبة هذا النوع من العمليات لم تتجاوز ٢٠ % ؛ فعمليات الكمائن التي تمت وصل العدد في بعضها إلى ٨ أفراد، ومنهم ضباط معروفون بالإجرام والتعذيب؛ ككمين مدينة نصر وكمين الهرم وضباط من الأمن الوطني، لكن هذه العمليات المحدودة تمت في ظل ظروف وإمكانات معينة وهي ليست أساس الفعل المقاوم للحركة.

كلمة حق: في مسيرة الحركة التي هي ليست بقصيرة أو طويلة.. هل حققت الحركة أي اختراقات مؤثرة لصفوف خصومها؟

خالد سيف الدين: هذا الأمر مهم وحيوي وممكن، وما نستطيع قوله الآن إن النظام غارق في الفساد حتى أذنيه، يحارب عن مصالحه دون عقيدة أو أخلاق، وليس صلباً أو متماسكاً كما يصدّر للناس، وإن كان غاشماً وإجرامياً. وهذا يوفر فرصاً ممتازة لاختراقات مؤثرة.

كلمة حق: هل حاولت الحركة استقطاب عسكريين أو أمنيين إلى صفوفها؟ وكيف كانت النتيجة؟

خالد سيف الدين: خلافاً لما يظنه البعض من تماسك المؤسسات العسكرية والأمنية في مصر وتوحدها خلف السيسي، فإن هذه المؤسسات شهدت محاولات ثورية قوية للتخلص من المستبد ونظامه، وهناك العشرات من الضباط والجنود الشرفاء يخضعون لمحاكمات عسكرية آثمة، وبعضهم تلقى أحكاماً قاسية، لذلك فنحن نؤكد أن الثورة يمكنها أن تصل لأبعد مدى قد يتخيله النظام.

ولا يزال تقديرنا أن صفوف العسكريين تحتفظ بمن يؤمن بالثورة ويؤمن بأن هذا النظام عدو للبلد، ولا يعلم جنود ربك إلا هو.

كلمة حق: نجح جهاز الأمن المصري تصفية وتفكيك العديد من المحاولات، لعل آخرها حركة أجناد مصر.. كيف تقيّم "حسم" قدرتها على الاستمرار والبقاء مقابل قدرة جهاز الأمن على تفكيكها؟

خالد سيف الدين: هذا تحدٍّ كبير لأي حركة تقاوم نظاماً استبدادياً، وتقديرنا أن السنوات الثلاثة أو الأربعة القادمة بعون الله وعقول وسواعد المخلصين، ستكون مؤثرة في إعادة تشكيل المشهد في مصر.

إلا أن التقدير السليم لإمكانيات العدو وطبيعة المعركة كمواجهة أمنية في الأساس، أمر ضروري لكافة الثوار والمجاهدين، وعليه يجب التركيز على البناء الأمني لحركات المقاومة، وكذلك تجنب الاستنزاف طويل المدى مع امتلاك القدرة على تعويض الخسائر البشرية واللوجستية.

كلمة حق: يرى المشاهد للأوضاع أن السلطة تعلن عن تصفية من تقول بأنهم أعضاء بحركة حسم بعد كل عملية تعلن الحركة عن تبنيها أو تتهمها السلطة بها.. لكن في الفترة الأخيرة وقع العديد من التصفيات دون وجود عمليات.. فهل هذا تغيُّر في السياسة الحالية؟ أم أن هناك من العمليات ما لا يُعلن عنها؟

خالد سيف الدين: كما أسلفنا فهناك وجه آخر غير معلن للمواجهة مع النظام، وما نستطيع قوله إن النظام يحرص على توجيه رسائل محددة لقيادة الحركة عبر التصفيات وغيرها، والحركة ترد على تلك الرسائل بما يناسبها.

النظام ورغم إمكاناته الضخمة وإجرامه، إلا أن الفساد والإهمال يضرب في كافة أركانه، وهو ما يجعله مضطراً للرد العشوائي على العمليات بتصفية شباب عزل من مخزون الإخفاء القسري لا علاقة لهم بالحركة من قريب أو بعيد، محاولاً رفع كلفة هذه العمليات على الحركة والضغط عليها للتوقف.

أما ادعاء النظام بأن هذه التصفيات تأتي في سياق اشتباكات مسلحة فهو كذب صريح؛ فالنظام يهرب من هذه المداهمات فراره من الموت، فهناك أوامر لدى كافة أفراد الحركة بالاشتباك حتى نيل الشهادة في هذه المواقف، وما الشهيد أبودشيشه رحمه الله عنا ببعيد.

كلمة حق: لو أتيح لـ"حسم" أن تقدم كلمة للحركات المسلحة الأخرى.. فما هي هذه الكلمة؟

خالد سيف الدين: ننصح أنفسنا أولاً وغيرنا كذلك بأن الصراع هو صراع الشعب في الأساس، ولا يمكن خوضه فضلاً عن الانتصار فيه بعيداً عن الناس؛ لذلك يجب أن يكون الناس نصب أعيننا دائماً، وأن النجاح الحقيقي هو إشعال تلك الطاقة الهادرة وتحشيدها في مواجهة النظام.

كذلك عدم التعجل لخوض المواجهات قبل الاستعداد الجيد والتأهيل الكافي، وعدم الإعجاب بانتصارات صغيرة مرحلية لا تصب في اتجاه الهدف الاستراتيجي.

حسم
بسواعدنا نحمي ثورتنا

كلمة حق: لماذا لا تكون حركة حسم صفحة جديدة في كتاب التجارب التي أخفقت؟

خالد سيف الدين: لا يعلم الغيب إلا الله و أملنا في الله كبير، ثم في عقول وسواعد الأحرار، ونجتهد في التطوير والأخذ بالأسباب، وما يدعونا للأمل هو حالة المد الثوري والجهادي التي تحياها أمتنا منذ ٢٠١١، والتي وإن تعرضت لبعض الانتكاسات المؤقتة إلا أنها حالة من العمق والقوة ما يجعلنا نراهن على بلوغها غاياتها الكبرى رغم طول الوقت وعظم التكاليف، هذه الحالة التي أعادت الشعوب مرة أخرى إلى مربع المواجهة مع الأنظمة العميلة المستبدة، فلم تعد المعركة نخبوية مع جماعات أو تيارات يسهل محاصرتها ومن ثم استئصالها، أما نحن وأياً كان ما سنحققه من أهداف مرحلية أو كلية، فنوقن أننا سنكون لبنة قوية في هذه الحالة وفي ثورة المصريين العظيمة، وأن هذا النظام الفاجر سيلقى في القريب جزاء ظلمه وعدوانه على الناس.

كلمة حق: كيف ترى الحركة مستقبل مصر في الأعوام القادمة؟

خالد سيف الدين: لا شك أن عمليات الإفساد والإفقار المتعمدة التي يمارسها النظام والتي تؤكد عمالته وخيانته، لها تداعيات خطيرة على الحاضر والمستقبل، وأخطر ما يحاول النظام تثبيته حالياً هو الخوف في نفوس الناس، فهذا الخوف هو ضمانته الوحيدة للبقاء والاستمرار، فهو في حرب لتجفيف روافد العزة والكرامة، وأولها ديننا الحنيف الذي أمرنا بمقاومة الطواغيت وعدم الانصياع لهم، كذلك يكافح الطاغية لمحو آثار ثورتنا العظيمة وما غرسته من معاني الشجاعة والمواجهة في النفوس.

إلا أننا نرى واقعاً عملياً مختلفاً من شباب مقبل على المقاومة والجهاد، يفضل الموت على عيش الذل والهوان، ونرى ملايين المصريين تتوق للعدل والحرية وانتزاع حقهم في العيش الكريم، تنتظر اللحظة المناسبة والقيادة الناجحة لخوض جولة جديدة من الصراع أشد ضراوة وأكثر حسماً.

كذلك فإن السياق الإقليمي والدولي الذي كان سبباً في بقاء واستمرار هذا النظام لم يعد مستقراً الآن، ومعرض لتغييرات كبيرة على المدى القريب، وهو ما يمثل فرصة كبيرة ينبغي ترقبها والاستعداد لها.

كلمة حق: في الذكرى الخامسة لمذبحة رابعة كيف ترون آثارها في مساركم وحركتكم؟

خالد سيف الدين: رضي الله عن شهدائنا ومصابينا وأسرانا في هذا اليوم العظيم، لقد كان فرقاناً بحق، وأعظم ما فيه هو تغيير الوعي الجمعي لشباب الاسلاميين كافة أن لله سنناً كونية وشرعية لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي أحداً.

لقد تعلمنا في هذا اليوم أن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقران، وأن عدونا لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة. تعلمنا أن اختيار مكان المعركة وزمانها نصف النصر وإن ضعفت الأدوات، وأن الشجاعة وحدها لا تكفي لكسب المعركة، وأن الحملان لا تقود الأسود إلى النصر أبدا.

وإنا على يقين أن العدو سيعض على يديه ندماً يوماً ما من إقدامه على هذا الفعلة وما جرته عليه من ويلات.

كلمة حق: سؤال أخير، ماذا عن تمويل الحركة ومصادره وأثر ذلك على اختراق الحركة وتوجيهها تحت ضغط المال؟

خالد سيف الدين: لقد عانت الحركات الجهادية بل وحركات التحرر كافة من هذا المدخل الخبيث، وما فتئت الدول والأنظمة تعبث بالساحات الثورية المختلفة بورقة المال وهذا واضح تماماً لدينا. وإن قراراً مستقلاً وموارد قليلة خير من دمى تحركها أموال الداعمين، وهذا الأمر ليس محل نقاش أو جدال لدى قيادة الحركة كمبدأ للحفاظ على استقلالية القرار.

وإن الثورة وجهاد الظالم لم يعد عملاً فئوياً أو حزبياً؛ بل خيار شعب وأمة يسهم فيه كلٌ بما يستطيع، بنفسه أو ماله، وهو ما نعتمد عليه بشكل أساسي.

نهاية الحوار ...



مذكرات الشيخ رفاعي طه (6)

من مؤسسي الجماعة الإسلامية المصرية

قصتي مع التصوف

سجلها عنه وحررها:محمد إلهامي

قلت لضابط أمن الدولة: نعم، عبد الناصر صنم.. ألم يكن له خطأ واحد؟!

كنت أتمثل عبد الناصر وأخطط لتنفيذ انقلاب عسكري وحكم مصر

● لقراءة الحلقات السابقة:

- تمهيد: موجز سيرة رفاعي طه كما أملاها
- الحلقة الأولى: طفولة بسيطة في قرية مغمورة بالصعيد المجهول
- الحلقة الثانية: أول الطريق إلى المسجد، وأول الطريق إلى السياسة
- الحلقة الثالثة: أول صدمة فكرية، وأول تفكير في إقامة دولة إسلامية
- الحلقة الرابعة: عندما فهمت معنى حديث النبي من ضابط أمن الدولة
- الحلقة الخامسة: عندما سمع أستاذي خبر إعدام سيد قطب أحرق كتابه وهو في الصومال

ولم تنتهِ الحصة الأولى حتى كان بالمدرسة اثنان من المخبرين قد حضروا ليأخذوني إلى أمن الدولة. هذه المرة لم أكن وحدي، بل كنت مصحوباً بمخبر، ولما دخلت إلى المحقق، سألني:

- ماذا تقصد بأن جمال عبد الناصر كان صنماً؟ ومن قال لك هذا التعبير؟
- لم يخبرني أحد، أنا أرى كل الناس تمدح عبد الناصر ولهذا أستشعر أنه صنم، وأنا عضو في منظمة الشباب الاشتراكي، ومسؤول تثقيف مركز ادفو.
- "يخرب بيتك، يخرب بيتك ما احنا عارفين"
- فقط أسمع المديح المديح لعبد الناصر، لا يوجد أي شخص يقول شيئاً آخر.. ألا يخطئ عبد الناصر أبداً؟ بالتأكيد لقد أخطأ يوماً
- أخطأ في ماذا مثلاً؟
- لا أدري.. أنا لا زلت صغيراً ولا أستطيع أن أعرف فيما أخطأ، لكنه أخطأ بالتأكيد!
- أنت يا رفاعي شاب متميز، وتفكر، وتسأل، وأنا واثق أنه لم يخبرك أحد شيئاً سيئاً عن عبد الناصر، ومن الحسن أن تسأل مثل هذا السؤال.
- فما تريدون مني الآن؟
- لا نريد منك شيئاً، فقط نريدك أن تحافظ على نفسك، أنت شاب جيد، ونحن نحب من هم مثلك من الشباب، وأنا قرأت ملفك، وعرفتُ أن زميلي قد أوصى بك، وترك لك رقم هاتفه.. وها هو أيضاً رقم هاتفي، كلمني إن احتجت إلى أي شيء، فأنت أخونا الصغير... إلخ!

كان أهم ما يريدون معرفته هو "ماذا تقصد"؟ و"من قال لك هذا"، ولما تبينوا أنه ليس ثمة أحد يلقنني هذا الكلام استهانوا بالأمر. إلا أن هذه المقابلة أذهبت من نفسي الرهبة منهم، فمن بعد ما كنتُ خائفاً ارتحت واطمأننت، لقد تصورت أني سأدخل كهف العذاب الجهنمي من رؤيتي لوجه النظر وفزع الأستاذ عيد، رغم أني لما تحدثت مع المحقق كنت أتحدث بثقة أفضل مما توقعت. إلا أن أهم ما خرجت به من تلك المقابلة أن النظام في مصر صار يتسامح مع مثل ما أقول، أو حتى: يرحب بأن تنتشر هذه المقولات التي تخدم استراتيجية السادات، وقد تبناها فعلاً فيما بعد.

أما في البيت فهيمن على أجوائه خوف أشد من خوف المرة الأولى. إن أبي -رحمه الله- رجل أميّ بسيط، يقرأ ويكتب بصعوبة، وأمي من جهتها أمّية، وهما كما هو حال الشعب المصري تلك الفترة يخافون جداً من التعرض لكل ما هو من شأن السلطة والدولة، كان أبي يقول لي: إن لم تكن تخشى على نفسك فاخشَ عليَّ، إني أريد أن أُرَبِّي إخوتك كما ربيتُك!



كان كلامه يعكس الخوف الشديد، إلا أنني لم أكن أتأثر بهذا إطلاقاً، كان يملك عليّ نفسي أني على الحق وعلى الطريق الصحيح، وحيث إن الأمر كذلك فلا اعتبار لكل ما ألقى في سبيله، سواء في ذلك التهديدات أو الرجاءات!

وأبعد من ذلك أني في هذه المرحلة لم أكن أشرك أحداً في تفكيري إطلاقاً، نعم.. أتحدث مع الأستاذ عيد الرافعي، وفي مرحلة لاحقة دخل على الخط أستاذ آخر اسمه سيد وكان يدرسنا اللغة العربية وكان صوفياً، وكذلك أستاذ آخر هو جمعة أبو زلازل.. كل هؤلاء كانوا يجلسون ويتحدثون معي، وكنت أستفيد منهم علمياً وشرعياً، إلا أنني لا أطلعهم على أفكاري ولا أحكي لهم مقصد جميعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كنت أستشعر أن هذا عمل عظيم وأني أتفرد به، كنت أرى نفسي كمن يطوي جوانجه على السر الكبير الخطير، كأنما أنا زعيم الثورة المرتقب، مثلي مثل جمال عبد الناصر!

”لقد سيطرت عليَّ فكرة أنني سأصنع شيئاً، بل شعرت أحياناً أني قد أصبحت قريباً جداً من أكون رئيس مصر.. إنها خمر المراهقة التي تقرب الأحلام البعيدة من الأفق البعيد فتجعلها كأنها في متناول اليد وأنه ليس بيننا وبينها إلا هذه الخطوة.. وما تلك الخطوة؟ أني سأدخل الكلية العسكرية، ثم أنفذ انقلاباً.. وهكذا أصير رئيس مصر، أرأيت إلى المسألة كيف هي يسيرة؟!“

لا أتذكر أحداثاً أخرى مهمة في هذه السنة، الصف الثاني الثانوي، لكن هذه السنة شهدت إقبالي على المكتبة وكثرة القراءة فيها، وكان الأستاذ عبده قد دخل إلى عالمي.. وكان صوفياً! قبل ذلك بعام، كان خط آخر قد بدأ في حياتي.. ذلك هو خط الصوفية..

لقد كان أساتذة المدرسة متصوفة، لكنهم لم يكونوا ينتمون إلى طريقة بعينها، أما أنا ففي الصف الأول الثانوي التحقت بالطريقة الأحمدية النقشبندية.. وقصة ذلك أن لدينا جاراً يعمل في مصنع ادفو للسكر، اسمه محمد، وكان يراني شاباً متديناً أغدو إلى المسجد وأروح، فدعاني

ذات يوم للذهاب معه إلى الزاوية، لم أمانع، ومن ساعتها كثر ترددي إلى هذه الزاوية.قبل ذلك بعام، كان خط آخر قد بدأ في حياتي.. ذلك هو خط الصوفية..

لقد كان أساتذة المدرسة متصوفة، لكنهم لم يكونوا ينتمون إلى طريقة بعينها، أما أنا ففي الصف الأول الثانوي التحقت بالطريقة الأحمدية النقشبندية.. وقصة ذلك أن لدينا جاراً يعمل في مصنع ادفو للسكر، اسمه محمد، وكان يراني شاباً متديناً أغدو إلى المسجد وأروح، فدعاني ذات يوم للذهاب معه إلى الزاوية، لم أمانع، ومن ساعتها كثر ترددي إلى هذه الزاوية.

عرفت هناك أن طريقتهم هي الأحمدية النقشبندية، أو لعلها الأحمدية الشاذلية، لقد نسيت وتطاول العهد بهذا، وعلى كل حال دعاني جارنا هذا إلى الانضمام للطريقة على أن أكون "مريداً ثانياً"، لقد كان لديهم مراتب ودرجات، وكان المريد الأكبر عندهم شيخ اسمه الزرقاني.



لم يكن عندهم علم بالشرع، وتصدق فيهم الانتقادات التي توجه للصوفية، كنا في تلك الزاوية نحفظ أحاديث بسيطة جداً، وكذلك في حفظ القرآن، ولقد رأيتني أحفظ أكثر منهم، فلربما كانوا يحفظون في جزء عم، بينما أنا في الجزء الخامس، وفي تلك الفترة كنت قد وصلت في حفظ القرآن إلى سورة الإسراء إلا أني نسيته لأني لم أكن أداوم على المراجعة، إلا أن هذا لم يخفض قدري بين أقراني أيضاً إذ كنت أحسن منهم حفظاً وكذلك استحضارا ًللآيات، فإذا فُتِح باب نقاش أو أردت فتح كلام فإن الآيات المتعلقة به تكون حاضرة في ذهني، والشاهد أنني كنت بين هؤلاء القوم من المنسبين لهذه الطريقة أحسنهم، فكنت أقرأ لهم القرآن، فإن غمض عليهم شيء شرحته وفسرته لهم، وما هو إلا أن بدأت في النقد والنقاش، أو قل: الجدال واللجاجة.. وهذا شيء لا تحبه الصوفية!!

لا أتذكر الآن هل كنا نلتقي في تلك الزاوية كل أسبوع أو مرتين في الأسبوع الواحد، لكن الذي تنبغي الإشارة إليه هنا هو انتشار فكرة الحلول والاتحاد فيما بينهم.. لم يكونوا ينشرون هذه الفكرة من خلال الدروس، وإنما هي منتشرة في حكاياتهم.

أذكرة مرة أنه قد حُكِيت أمامي أن رجلا قد سأل شيخه معترضاً على كيفية الخلق، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– يخلق بعض الخلق متشابهين مع كثرتهم وتعددهم، فقال الشيخ: تعالَ عندي اليوم بعد العصر لنشرب الشاي معاً. فحضر المريد في الموعد المضروب، فلما جلس بين يديه طرق الباب، فأمره الشيخ أن يفتح، فذهب ففتح فوجد نفس الشيخ أمامه، فصار يقلب بصره مندهشاً بين شيخ جالس في الدار وشبيهه الواقف على الباب، ثم ألجمته الدهشة حتى دخل الذي بالباب، وما إن جلس بين يدي الشيخ حتى طرق الباب مرة أخرى، فأمره أن يفتح، فذهب ففتح فتكررت القصة حتى دخل الدار أربعون رجلاً على نفس هيئة الشيخ الجالس في الـدار. فهنا قال الشيخ لمريده صاحب السؤال: كنت قد سألتني سـؤالاً في الحلقة وأنا أريد أن اجيبك عليه. فقال المريد له "لقد أجبت.. لقد أجبت.. لقد أجبت"، وهكذا أعطاه الشيخ درساً عملياً وأدبه تأديباً قوياً وعلمه ألا يسأل مثل هذه الأسئلة، فإن كان الشيخ الولي يستطيع أن يخلق أربعين نفساً على صورته فكيف بالله الواحد القهار!!



ما إن سمعت هذه القصة حتى غضبت غضباً شديداً وانطلقت صائحاً: هذه القصة لا يمكن أن تكون صحيحة، هي بلا شك كذب!

واندهش الشيخ من جرأتي وصاح بدوره: كيف تقول؟! هل تعني أنني كاذب؟

فقلت له وما زلت في غضبي: لا أدري هل أنت الكاذب أم غيرك، لعلك نقلتها من كتب ليست صحيحة، لكن اليقين أن هذه القصة كذب لا يمكن أن تصح. حتى ولو افترضنا أن هذا الشيخ قد استعمل قوة الجن وسخرهم لنفسه، فلن يمكن للجن أن يفعلوا هذا، تلك القصة في حكم المستحيل!

كانت القصة في حكم المستحيل.. وكانت غضبتي هي الفراق بيني وبينهم! قررت ساعتها -وكنت في الصف الثالث الثانوي- ألا أذهب إليهم مرة أخرى.



ومع هذا لم تنقطع علاقتي كلية بالصوفية، لقد كنت أعود في أسئلتي وفي مثل هذه الأمور إلى أساتذتي في المدرسة، لقد كانوا مع تصوفهم أكثر ثقافة ونضجاً من هؤلاء البسطاء، لا سيما الأستاذ عبده، لكم كان مثقفاً حقاً، وكان شديد التدين مشهوراً به في مركز إدفو، وكان له شيخ أكبر منه يعمل مفتشاً للغة العربية وقد بلغ سن المعاش، وكان هذا الشيخ أكثر تديناً منه وأشهر، ولقد كانت لي قصة معه لعلي أذكرها إن شاء الله.



مقدمة الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد*

"إنها مباراة ذكاء وإرادة. لابد أن نتعلمها ونتكيف معها باستمرار كي نبقى على قيد الحياة" الجنرال بيتر شوميكر، الولايات المتحدة، ٢٠٠٤.

تمتلك القوات المسلحة في الولايات المتحدة تفوقاً تقليدياً ساحقاً. وقد دفعت هذه القدرة أعداء أميركا إلى محاربة قوات الولايات المتحدة بأساليب غير تقليدية، تُخلط فيها التقنية الحديثة بالأساليب القديمة للتمرد والإرهاب. ومن الواضح أن معظم القوى المعادية للولايات المتحدة لا تحاول هزيمتها عبر العمليات التقليدية، كما لا تقيد نفسها بدحرها عبر الوسائل العسكرية. وتعلم هذه القوى أنه ليس في استطاعتها التنافس في الميدان العسكري مع القوات المسلحة للولايات المتحدة وفق هذا المنوال.

* Army Field Manual 3-24: Counterinsurgency, Dec 2006.

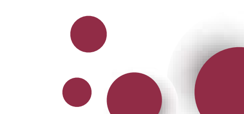
وبدلاً من ذلك، تحاول إنهاك الإرادة القومية للأمة، وتسعى للفوز عبر تقويض الدعم الوطني للولايات المتحدة، والتفوق عليه بالقدرة على الصمود. وإن هزيمة مثل هؤلاء الأعداء تمثل تحدياً ضخماً لوحدات الجيش وقوات مشاة البحرية الأمريكية، وتتطلب مواجهته بذل جهود إبداعية بواسطة كل جندي وعنصر مارينز.

وطوال تاريخ القوات المسلحة الأمريكية كان عليها أن تعيد تعلم مبادئ مكافحة التمرد (COIN) بينما تدير العمليات ضد الأعداء من المتمردين القادرين على التكيف. ولقد حان الوقت لكي يجري تنظيم وتأطير معرفة الجيش الأمريكي ومشاة البحرية بهذا النوع من الصراع المستديم.

وإن الغرض من هذا الدليل يتمثل في المساعدة على تهيئة قادة الجيش ومشاة البحرية لإدارة عمليات مكافحة التمرد في أي بقعة من العالم. كما يقدم الدليل مبادئ أساسية تحتاج للدراسة قبل انتشار القوات على مسرح العمليات. وربما يكون الأكثر أهمية، أنه يقدم أساليب تقنية مستحدثة مضاف إليها الدروس المستفادة المستخلصة من وجود قواتنا في الميدان وقيامها بالعمليات، وهو مطلب جوهري للنجاح في مقابل أعداء اليوم القادرين على التكيف. وباستخدام هذه التقنيات والأساليب يمكن أن تبقى القوات الأمريكية أكثر خفة وحركة وتكيفاً من أعدائها غير النظاميين. كما أن معرفة تاريخ ومبادئ التمرد وكيفية مكافحته، توفر أساساً متيناً يستطيع القادة المطلعون استخدامه لتقييم التمردات. ويمكن أيضاً لهذه المعرفة أن تساعدهم على اتخاذ القرارات الصائبة عبر توظيف جميع أدوات القوة الوطنية لمواجهة هذه التهديدات.

وتختلف التمردات عن بعضها البعض، ومع ذلك توجد أمور تشكل أساس العوامل المحرضة للمتمردين عبر التاريخ. فمعظم التمردات تتبع مساراً متشابهاً في تطورها. كما أن التكتيكات المستخدمة لهزيمتها هي أيضاً متماثلة في معظم الحالات. وعلى نحو مماثل، يظهر التاريخ أن بعض التكتيكات التي تكون في الغالب ناجحة ضد الأعداء التقليديين قد لا تنجح ضد قوى متمردة أخرى.

وهناك سمة مشتركة في عمليات التمرد، وهي أن الحكومة المستهدفة من قوى التمرد تأخذ بشكل عام فترة من الوقت لكي تدرك أن هناك تمرداً يقع ضدها. ويستفيد المتمردون من هذا الوقت لبناء القوة وجمع الدعم. وهكذا، فغالباً ما يتعين على قوات مكافحة التمرد أن ”تأتي من الخلف“ عندما تقاتل أحد التمردات.



والسمة العامة الأخـرى هي أن القوات التي تخوض عمليات مكافحة التمرد عادة ما تبدأ أعمالها بشكل ضعيف. كما أن جيوش العالم الغربي غالباً ما تهمل دراسة التمرد. وتتمسك بالاعتقاد الـزائـف بـأن الجيوش المـدربـة على الفوز في الحروب التقليدية الضخمة ستكون جاهزة تلقائياً للفوز في الحروب الصغرى وغير التقليدية.

وفي الواقع، فإن بعض القدرات المطلوبة من أجل النجاح التقليدي- مثل: القدرة على تنفيذ مناورة تعبوية واستخدام قوة نيران ضخمة- قد تكون ذات نفع محدود أو حتى معوقة في عمليات مكافحة التمرد. ورغم ذلك، فإن القوات التقليدية التي تبدأ عمليات مكافحة التمرد كثيراً ما تحاول استخدام هذه الإمكانيات لهزيمة المتمردين، ويمكن القول بأنها دائماً ما تفشل.



إن القوات المسلحة التي تهزم حركات التمرد بنجاح هي في الغالب تلك القوات التي تستطيع التغلب على النزعة المؤسسية لشن حرب تقليدية ضد المتمردين. فهي تتعلم كيف تكافح التمرد وتطبق تلك المعرفة. ويمكن أن يساعد هذا الدليل في الضغط بهذا الاتجاه للتعلم. فهو أداة للمخططين والمدربين والقادة الميدانيين. ويساعد استخدامه القادة على بدء عملية التعلم بشكل أسرع، وبنائها على قاعدة معرفية واسعة. كما يؤدي التعلم الذي يجري قبل انتشار الوحدة العسكرية إلى فقد أرواح أقل، ويقلل أيضاً من إهدار الثروة القومية في إعادة تعلم الدروس السابقة أثناء القتال.

وفي عمليات مكافحة التمرد، نرى بأن الجانب الذي يتعلم أسرع ويتأقلم بسرعة أكبر- التنظيم الأفضل تعلماً- عادة ما يفوز. لذا أطلقت تسمية (مسابقات التعلم) على عمليات مكافحة التمرد.

ومن ثم يعرف هذا الـدليل "الـتعلم والـتكيف" كـأمر أسـاسي في عمليات مكافحة التمرد الحديثة التي تواجه القوات الأمريكية. ولكن لا يستطيع الجنود ومشاة البحرية الانتظار حتى يُنذَروا بالانتشار للاستعداد لمهمة مكافحة تمرد معين. فتعلم إدارة عمليات مكافحة التمرد المعقدة أمر يبدأ بالدراسة مقدماً. ويُعد هذا الإصدار ميداناً جيداً للبدء. كما تبين قائمة المراجع والمصادر المذيلة عدداً آخر من المصادر. وهذه عينة فقط للمقدار الضخم من المعلومات المتاحة حول هذا الموضوع. وينبغي ملاحظة أن التكيف والمرونة لا يحدثان إلا عند تطبيق الجنود ومشاة البحرية لما تعلموه خلال الدراسة والخبرة، وعبر تقييم نتائج أعمالهم، واستمرارهم في التعلم أثناء العمليات.



وكما في تعلم التنظيم، يحث الجيش ومشاة البحرية الجنود على الانتباه إلى المواقف المتغيرة بشكل سريع والتي تميز عمليات مكافحة التمرد. وفي بعض الأحيان، لا تحقق التكتيكات والأساليب والإجراءات المستخدمة النتائج المطلوبة. وعند حدوث ذلك، ينهمك القادة الناجحون في بحث موجه عن طرق أفضل لهزيمة العدو. وللفوز، يجب على الجيش ومشاة البحرية إيجاد إجماع مؤسسي على عقيدة جديدة بكل سرعة، ونشرها، ومراقبة تأثيرها على إنجاز المهمة بعناية. ويجب مواصلة تكرار دورة التعلم هذه بما أن قوات مكافحة التمرد الأمريكية تسعى إلى التعلم بشكل أسرع من العدو المتمرد. فالجانب الذي يتعلم أسرع ويتأقلم بسرعة أكبر هو الذي يفوز.

ومثلما توجد أسس تاريخية تشكل الأساس للنجاح في مكافحة التمرد، فتوجد سمات تنظيمية تتشارك فيها أغلب الهيئات التعليمية الناجحة. وقامت الوحدات العسكرية التي تعلمت مكافحة التمرد بفاعلية بشكل عام بالتالي:

- طورت عقيدة لمكافحة التمرد، ومارستها بشكل محلي.
- أسست مراكز تدريب محلية أثناء عمليات مكافحة التمرد.
- حدثت افتراضاتها بانتظام، سواء بشكل رسمي أو غير رسمي.
- تعلمت ما يتعلق بالعالم الأوسع خارج نطاق القوات المسلحة، وطلبت مساعدة خارجية لتفهم الأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية الأجنبية والأوضاع الأخرى فيما وراء نطاق خبراتهم.
- طورت المقترحات التي وصلت إليها مباشرة من ميدان القتال.
- شجعت تبادل الآراء و المعلومات بشكل منفتح بين الضباط الأعلى ومرؤوسيهم.
- أقامت طرق سريعة لنشر الدروس المستفادة.
- نسقت بشكل وثيق مع الشركاء الحكوميين وغير الحكوميين على جميع مستويات القيادة.
- أثبتت انفتاحها على تلمس وتقييم النصائح المقدمة من السكان المحليين في منطقة الصراع.

هذه الممارسات ليس من السهل على أي هيئة إقامتها. فتبنيها يمثل تحدياً بشكل خاص للقوات المنهمكة في القتال. ولكن هذه السمات ضرورية لأي قوات مسلحة تجابه عدو لا يقاتل باستخدام تكتيكات القتال التقليدية، وتريد أن تكيف نفسها على شن حرب غير نظامية. وإن في استطاعة الهيئات المتعلمة أن تهزم التمردات، ولكن المنظمات البيروقراطية لا تستطيع.

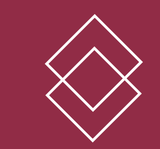
وإن تعزيز التعلم وتطويره هو مسؤولية أساسية للقادة على جميع المستويات. وقد أنشأت القوات المسلحة الأمريكية (منظومات دروس مستفادة) ممتازة تسمح بجمع المعلومات من داخل الميدان، وسرعة نشرها. ولكن هذه النظم تعمل فقط عندما يعضد القادة استخدامها بالتوازي مع توفيرهم لمناخ قيادي يشجع التعلم من أسفل لأعلى. وغالباً ما ينشر صغار القادة في الميدان الدروس المستفادة المبنية على خبراتهم بشكل غير رسمي. ولكن دمج هذه المعلومات داخل الدروس المستفادة المؤسسية ثم في العقيدة العسكرية يتطلب من القادة تشجيع المرؤوسين على استخدام الدروس المكتسبة بشكل مؤسسي.

وبشكل ساخر، تتحدى طبيعة مكافحة التمرد منظومات الدروس المكتسبة التقليدية، فالعديد من الأوجه غير العسكرية لمكافحة التمرد لا تساعد نفسها على التعلم التكتيكي السريع. وكما يشرح هذا الإصدار، فإن أداء الواجبات الكثيرة غير العسكرية في مكافحة التمرد يتطلب معرفة العديد من المواضيع المتنوعة والمعقدة، والتي تشمل الإدارة الحكومية، والتنمية الاقتصادية، والإدارة العامة، وتطبيق القانون. ويستطيع القادة الذين لديهم معرفة عميقة بهذه الموضوعات مساعدة مرؤوسيهم على تفهم بيئات التحدي غير المألوف، والتكيف بمزيد من السرعة مع تغير المواقف. وإن قراءة هذا الدليل تمثل وقفة أولى لتنمية هذه المعرفة.



وغالبًا ما تكون حملات مكافحة التمرد طويلة وصعبة. وقد يكون التقدم والنجاح صعب القياس، وربما يبدو أن العدو يمتلك مزايا كثيرة. فالمتمردون الأكفاء يتكيفون سريعاً مع الظروف المتغيرة، إذ يستخدمون بمهارة أدوات الثورة المعلوماتية العالمية لتعظيم تأثير أعمالهم. وفي أغلب الأحيان يقومون بأعمال بربرية، ولا يحترمون معايير السلوك المقبولة. ولكن بالتركيز على جهود تحقيق الأمن ودعم السكان المحليين، ومن خلال تناغم الجهد للعمل بحق كهيئة تعليمية، يستطيع الجيش ومشاة البحرية هزيمة أعدائهم من المتمردين.

يسرا جلال



وطلحة.. في الجنة

"لا أعرف سببًا لازدحام السوق هذا العام. حتى خان الدبس مزدحم على غير العادة.. طالعٌ طيب على أية حال.. علنا نتمكن من بيع تجارتنا والعودة إلى مكة قبل موسم الحج".

استند الرجل حسن القسمات إلى جدار صومعة بعيدة عن السوق في بُصرى.. بدا عليه إرهاق السفر وأحمرّ وجهه القمحي، أغمض عينيه وأراح رأسه قبل أن يسمع نداءً من الصومعة: "يا أهل الموسم.. أفيكم أحد من أهل الحرم"؟

أجابه صاحبنا: "نعم"؛ فعاد وسأله: "هل ظهر أحمد بعد؟" صمت لهنيهة يحاول أن يتذكر إن كان مر عليه هذا الاسم الغريب من قبل لكنه أجاب: "من أحمد؟" فردّ الراهب: "ابن عبدالله بن عبدالمطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ.. فإياك أن تُسبق إليه".

اتسعت حدقتا (طلحة بن عبيدالله) وسرى نشاط غريب في جسده المرهق وأسرّها في نفسه ولم يبدها لهم: "أيعني محمدًا؟ أقال ابن عبدالله بن عبدالمطلب"؟

أنهى (طلحة) معاملاته في بُصرى سريعًا قبل أن يسرع إلى مكة، ويسأل أهلها هل كان من حدث؟ فقالوا له: نعم (محمد بن عبدالله) الأمين تنبأ وتبعه (ابن أبي قحافة).

صدق الراهب إذن.

انطلق (طلحة) من فوره إلى (أبي بكر) يقصّ عليه حديث الراهب، فاصطحبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سُر بما سمع من خبر الراهب، وعرض على (طلحة) الإسلام وقرأ عليه القرآن؛ ليكون أحد أول ثمانية دخولًا في الإسلام.

مكانة (طلحة) في قريش لم تشفع له عند (نوفل بن خويلد) أسد قريش فقرنه مع (أبي بكر) في حبل واحد، ولم يمنعهما أحد من قومهما بني تميم.. إلا أن ذلك لم يدم طويلًا.. إذ لم ينل (طلحة) ما كان يتعرض له المسلمون من عذاب فلم يهاجر إلى الحبشة..

*****



انساب الماء في وادي الخرار بعد أن غادره رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في طريقهما إلى يثرب، وهناك التقى بهما (طلحة) عائدًا لتوه من رحلة الصيف إلى الشام، تهلل وجه (طلحة) إذ اكتحلت عيناه بالاطمئنان على رسول الله.. وكسا الرسول وصاحبه من ثياب الشام ليدخل الرسول وصاحبه إلى المدينة في حلة جديدة..

أما (طلحة) فقد أكمل السير إلى مكة ليصطحب آل أبي بكر إلى يثرب ثم يلحق برسول الله في يثرب..

*****

تبدد المسلمون في ساحة القتال. فرصة ذهبية لم يفوتها (خالد بن الوليد).. جبل أحد خالٍ من الرماة.. ظهور المسلمين مكشوفة ..استدار (خالد) مع فرسانه المائتين حتى وصل إلى مؤخرة جيش المسلمين وأباد عبدالله بن جبير والتسعة الذين لم يتركوا الجبل ليصيبوا من الغنيمة، ثم انقض على المسلمين من ظهورهم.

وصار المسلمون بين شقــي الرحــى.. رفع المشركون لواءهم المطروح أرضًا منذ بداية المعركة والتفوا حوله ولاثوا به وتنادوا؛ لينقلبوا على المسلمين بعد أن تغير سير المعركة..

تناهى إلى سمع (طلحة) صياح المسلمين.. "قُتل رسول الله.. قُتل رسول الله" فارتاع قلبه، وانطلق يبحث عن رسول الله.. يركض لاهثًا بين الصفوف، وقد ألقى جماعة من المسلمين السلاح مستكينين، وسمع (أنس بن النضر) يصيح فيهم: ما تنتظرون؟ فردوا عليه: قُتل رسول الله؟ ثم ارتفع صوت أنس: ما تصنعون بالحياة من بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم!

كان قلبه يأبى أن يصدق ما سمعت أذناه، حتى سمع صوت الرسول صلى الله عليه وسلم في وسط أرض المعركة: "هلموا إليّ.. أنا رسول الله". استجاب (طلحة) لنداء الرسول في سبعة من أصحابه وأحاطوا به، لكن عصبة الكفر سبقتهم إليه، فقد رماه (عتبة بن أبي وقاص) بالحجارة ليسقط أرضًا وتصاب رباعيته اليمنى.. وضربه (ابن قمئة) -أقمأه الله- على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة آلمت رسول الله، لكنها لم تنفذ إليه، إذ كان ظاهر بين درعين.. ثم عاد فضربه على وجنته حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته.



انضم (طلحة) إلى (سعد أبن أبي وقاص) ليسددا الرمي على المشركين، ورسول الله يقول لسعد: "ارم فداك أبي وأمي[٢]".

شكل (طلحة) مع (سعد ابن أبي وقاص) سياجًا لئلا يخلص المشركون إلى النبي، حتى إن الضربات كانت تنزل على رسول الله فيتلقاها (طلحة) بيده.. كان مشهدًا أسطوريًا لم تعتده دنيا البشر..حين توجه إليك ضربة تكون أنت أول من يتوقاها يعطيك جسمك إشارة إنعكاسية لتدفع الضربة الموجهة إليك.. ولكن أن يعطيك جسمك نفس الإشارة لتدفع الضرب الموجه إلى جسم آخر؟ كان ذلك من (طلحة) غريبًا..

لم تتحمل يد طلحة الضربات المتتابعة.. قُطعت أصابعه وشلت يده.

كان يوم أحد كله لطلحة.. لم ينل يومها الشهادة كحمزة، ولكنه أصبح شهيدًا يمشي على الأرض. سقط صريعًا بين يدي رسول الله بعد أن تلقى بضعًا وسبعين ضربة، وأقبل عليه (أبو عبيدة بن الجراح) و(أبو بكر) يعالجانه بعد أن أثخنته الجراح.. وأوجب.. (أي وجبت له الجنة).
كان يوم أحد كله لطلحة الخير.

*****

بات (طلحة) على فراشه يتململ، لا تهنأ عينه بنوم، ولاحظت (أم كلثوم بنت الصديق) رضي الله عنهما قلق زوجها، فسألته: مالك؟ فأجابها:"ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فقسمه"[٣] التمعت عيناه فرحًا بعد أن أرقه المال الوفير الذي أتاه من حضرموت فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق.. نام بعدها قرير العين وأصبح فقسم المال بين المهاجرين والأنصار.

*****

مرَّ أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) بين صفوف المصلين ليطمئن أن لا خلل فيها، ثم تقدم ورفع صوته: "استووا".. وكبر لصلاة الفجر ثم صاح: "قتلني الكلب".. اضطربت صفوف المصلين الأمامية ولاذ (أبو لؤلؤة المجوسي) بالفرار حاملًا سكينًا ذا طرفين يطعن من يحاول الإمساك به، حتى ألقى عليه (عبد الرحمن بن عوف) برنسًا له وهنا أقدم القاتل على الانتحار..

وخرجت الكلمات واهنة من بين شفتي عمر: "وكان أمر الله قدرًا مقدورًا" ثم أُغشي عليه.. وحين أفاق سأل: أصلى الناس؟ "لا إسلام لمن ترك الصلاة". ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى وإن جرحه لينزف"[٤].

وانعقدت الشورى لأيام ثلاثة بعد دفن عمر رضي الله عنه، واجتمع الستة الذين أوصى عمر أن يختار الخليفة من بينهم.. الستة الذين مات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ اجتمعوا في بيت عائشة رضي الله عنها.. عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيدالله، الزبير بن العوام، عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.. وأعلن (طلحة) منذ البداية: "جعلت أمري إلى عثمان"؛ ليكون أول من بايع (عثمان) بالخلافة بعد استشهاد عمر رضي الله عنهم أجمعين..

*****

اشتد الحصار على دار (عثمان بن عفان)، وكان رضي الله عنه مصرًا على ألا تراق دماء المسلمين دفاعًا عنه، هاجم المتمردون دار (عثمان بن عفان) وقُتل رضي الله عنه والمصحف بين يديه، وقد خضبت دماؤه مصحفه الذي بين يديه وسقطت الدماء على قوله تعالى: "فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم" (البقرة:١٣٧)

*****

أربعة أشهر مرت على مقتل (عثمان) رضي الله عنه، ولم يقتص لأمير المؤمنين.. فخرج (طلحة) و(الزبير) إلى مكة ليلتقيا بأم المؤمنين (عائشة) في طريق عودتها من الحج، واتفقوا على الخروج للبصرة ليستعينوا بمن فيها للقبض على قتلة عثمان، إلا أن رؤوس الفتنة كانت أسرع وأضرمت نار الحرب بين الفريقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

*****

انطلق سهم غرب لا يعرف من رماه ليستقر في جسد (طلحة) وينزف دمه بغزارة، فيترك ساحة القتال يوم الجمل في بداية القتال ويدخل دارًا في البصرة ليعالج فيها، ثم يموت فيها شهيدًا، كما أخبره صاحبه صلى الله عليه وسلم: "وطلحة في الجنة"[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الجزء السادس والعشرون، ص١١١:١١٥.

(٢) صحيح البخاري ٤٠٧/١.

(٣) سير أعلام النبلاء- الجزء الأول.

(٤) الخلافة الإسلامية، ١٨٧.

(٥) صححه الألباني.

كيف تبني تنظيماً ثورياً (2)

د. عمرو عادل



كما تابعنا في المقال السابق؛ نحن الآن في مرحلة التكوين والبناء، والمسارات الرئيسية للبناء هي الأمن والمعلومات وتكوين القوى الخشنة والناعمة، ولتحديد ما هو المطلوب من إجراءات وتنظيم لهذه المحاور الثلاثة؛ لابد من تفسير أكثر وضوحاً لمسارات المقاومة الشعبية، فكما ذكرنا فإن أي تنظيم ينشأ لتحقيق شيء ما، وبدون تحديد لهذا الشيء يصبح التنظيم عبئاً ولا يمثل أي قيمة مضافة.

وتحديد الخطوط العامة للمقاومة هو محور مقال اليوم.

ومن الخطورة قصر المقاومة على المقاومة المسلحة فقط، فهي واحدة من مسارات المقاومة وهي الأكثر خطورة بالتأكيد؛ لذا فإن المنضمين تحت لواء هذا المسار هم القلة بالتأكيد، أما المسارات الأخرى فهي أقل خطورة ولذلك يمكن لأعداد أكثر بكثير المشاركة في بناء التنظيمات العاملة في هذه المحاور.

ويمكن إجمال هذه المسارات كالتالي، وكل مسار له تنظيماته غير المترابطة، ويعتمد حجم التنظيم على الوظيفة والهدف، بداية من تنظيم الشخص الواحد حتى التنظيم متعدد الخلايا.

المسار العلمي للمقاومة

هناك ضعف شديد ويتسع كل يوم في مجال تكنولوجيا التسليح، والدخول في ذلك المسار يبدو مستحيلاً لأنه يحتاج إلى إمكانات دول ومناطق عمل آمنة نسبياً، لكن هناك وسائل بسيطة وغير تقليدية وقابلة للتنفيذ بإمكانات بسيطة قد تستطيع قلب الطاولة، ولكن ذلك يحتاج إلى جهد علمي من المهندسين والكيمائيين وخريجي كليات العلوم للوصول لحلول مبتكرة وبسيطة كوسائل للمقاومة.

هذا المسار يحتاج لتنظيم أنوية تفكر وتحاول الوصول لحلول وكل نواة هي بمثابة تنظيم.

مسار تكنولوجيا المعلومات والشبكات

أصبح التحكم في تدفق المعلومات والسيطرة عليها وتوجيهها أحد أهم ما تمتلكه الأنظمة الحديثة، ويمكن الآن لرجل واحد اختراق مواقع هامة أو إيقاف عملها والحصول على معلومات شديدة الخطورة، ووجود مثل هولاء الأشخاص يمثل قيمة مضافة هائلة لأي فعل ثوري، وهذه التنظيمات من الأفضل أن تكون تنظيم الرجل الواحد.

مسار من داخل الدولة

الموظفون والعمال والفنيون والمهندسون وغيرهم من العاملين داخل أجهزة الدولة، لهم دور هام ولكنه مؤجل في الثورة، فهم الأقدر على معرفة كل تفاصيل الهيئات أو المصانع أو غيرها من مؤسسات الدولة، بداية من الوحدة المحلية أو القروية نهاية بمجلس الوزراء، مروراً بكل ما تديره الدولة من مؤسسات كمحطات المياه والصرف والكهرباء والسنترالات، فالواجب أن يتكون تنظيم صغير في كل مؤسسة طبقاً لحجمها يقوم بعمل الآتي:

- تحديد المفاصل التي يجب السيطرة عليها في لحظة المد الثوري، للسيطرة على المؤسسة تماماً.
- تحديد دوائر الفساد بالأشخاص، وكل ملفات الفساد توثق إن أمكن.
- الكمون التام وعدم إظهار الانتماء للتيار الثوري.





> العصيان المدني هو أحد المسارات المهمة في تفتيت سيطرة النظام على الشعب والسلطة، وهذه الأمور عادة لا تتحرك بدون تنظيمات تدفع الجماهير للتحرك، ويجب اختيار اللحظة المناسبة دائماً للتعامل مع الجماهير.

والأمر في مجمله أمر توعوي يمكن أن يشارك به الجميع بالتواصل المباشر بين الأفراد، يجب إدراك أن الأغلبية في المجتمع المصري ساخطة بشدة على الوضع الحالي و تحتاج للإحساس أنها ليست وحدها، وكل فرد منتمي للثورة أو على الأقل يرفض الوضع الحالي، عليه أن ينشر أفكار العصيان المدني بأكبر قدر من الحرص على سلامته الشخصية وبالطرق التي يراها مناسبة، سواء باللقاءات المباشرة أو التواصل الاجتماعي.

ومن الإجراءات الخاصة بالعصيان المدني التي يمكن ترويجها:

- التهرب من الضرائب.
- عدم توريد المحاصيل للدولة.
- عدم دفع الفواتير والحصول على الخدمات قدر المستطاع دون دفع التكلفة.

- العمال يقللون ساعات العمل الحقيقي قدر الإمكان حتى يحصلوا على حقوقهم العادلة، ولابد أن يؤمنوا بالقاعدة القائلة "لا عدالة، لا أرباح" أو بمعنى آخر "إذا كان من الضروري أن نعاني، إذا فلنعاني جميعاً".

- عدم التعامل في ملف الزكاة مع أي مؤسسات على الإطلاق والتعامل المباشر بين الأفراد وبعضهم دون وسائط.

- عدم الاحتفاظ بأي أموال في البنوك أو المؤسسات المالية للدولة، والاحتفاظ بها في صورة ذهب أو منقولات بعيداً عن العملة الورقية.

- توفير القضاء العرفي في كل مجتمع قادر على ذلك، والتخلي تماماً عن القضاء النظامي المختل، وهذا متاح على نطاق واسع داخل مصر في قبائل الصعيد والقرى وأهالي سيناء، ومن الضروري أن تسعى القوى المجتمعية الناشئة إلى الانفصال عن القضاء الرسمي بكل قوة.

"هناك الآلاف من الوسائل التي تفكك من سلطة النظام يمكن للجماهير أن تقوم بها، فقط تحتاج كل نقطة جغرافية بداية من أصغر قرية إلى العاصمة القاهرة أن تنشأ بها خلايا غير مترابطة، يكون شغلها الشاغل دفع المجتمع للعصيان المدني والترويج للفكرة بكل الوسائل المتاحة، وكما ذكرنا بالاحتياطات الأمنية اللازمة التي سنضع أهم نقاطها لاحقاً."



- مسار الكفاح المسلح: وهو مع أهميته الكبيرة في حروب التحرير، إلا أن وجوده منفرداً دون دعم المسارات الأخرى والدعم الشعبي سيكون ذا تأثير ضعيف ويسهل الإيقاع به. لذلك فالشغل الشاغل لأي نظام استبدادي هو تشويه القوى الشعبية الحقيقية لتقليل احتمالية نجاح حروب التحرير المسلحة.

"والكفاح المسلح هو أكثر ما يحتاج للتأمين الكبير وشبكة جيدة لتجميع المعلومات ومهارات خاصة لأفراد الخلايا المسلحة أعضاء التنظيم، وهذا المسار سيكون له مقالاً منفصلاً للتعمق فيه."

حجم التنظيم

تنظيم الرجل الواحد

وهو الرجل الواحد الذي يقوم بكل مهام جمع المعلومات وتأمين نفسه وموارده والتنفيذ، وهناك صعوبة شديدة للاختراق والاكتشاف إذا كان المحارب ماهراً في التخفي وتأمين نفسه، وهذا النوع

تنظيم الخلية الواحدة

وهو تنظيم يتكون من ٣ إلى ٥ عناصر على الأكثر، يقوم بما يقرره لنفسه من مهام، وهو يجمع المعلومات ويخطط ويؤمن نفسه، وهذا التنظيم بهذا العدد صالح في بدايات العمل دون تواصل مع أي مجموعات أخرى، ويمكنه القيام بغالب أعمال المقاومة في كافة المسارات المذكورة بالأعلى.

تنظيم متعدد الخلايا (المجموعات)

من هذا المستوي يبدأ التعقيد وتزداد الخطورة؛ إذ يحتاج التنظيم إلى قدرات عالية للتأمين والسيطرة على تدفق المعلومات، وكل خليه لا تزيد عن ٥ أعضاء، ويبدأ ظهور التخصص؛ إذ تختص كل خلية بوظيفة محددة سواء أمنية أو معلوماتية أو عملياتية. كما تتسم هذه المرحلة بزيادة الاختراقات ورغبة النظام في السيطرة على المسار المقاوم باحتلاله من أعلى لخدمة مصالحه.

التنظيم المتعدد المجموعات

ولا تبدو هناك حاجة لمثل هذا التجمع إلا عند حدوث تطور كبير للخلايا والمجموعات الثورية وتحتاج في لحظة ما للتجمع، وهذه الخطوة تحتاج لظهور قيادة ميدانية لتتجمع حولها محاور المقاومة، وهذه المرحلة هي الأخطر والأكثر انكشافاً وتحاول الأنظمة تفتيت المقاومة بصناعة تنظيمات تابعة لها للسيطرة على المد الثوري الحقيقي.



في المقالات القادمة سأحاول توضيح أهم الأمور اللازمة في مجال الأمن ونظام المعلومات وبناء التنظيم المسلح دون إخلال، وهناك الكثير من الإصدارات التي تتحدث بتوسع أكبر وأعمق في هذه المجالات يجب على المهتمين بفكرة المقاومة الرجوع إليها.

إن هذا الأمر شديد الأهمية والخطورة، ولا يوجد عمل مقاوم خال من المخاطرة، والهدف تقليل الخطر قدر المستطاع دون إنهائه، ويعتمد ذلك على مدى مهارة المنفذين والقدرة على تأمين التنظيم وتدفق المعلومات.

قصيدة .. نجمة حق

عبد الرزاق الصادقي*

صَبَاح الحقِّ أَشرقَ في الْفؤَاد .. ونجمته غدت مجد العباد

لَها في النّفس نور مستبين .. وحَاملها رفيع في العماد

تَرَاءت في سماء العلم شمسا .. وفي أرض الهدى عين الوداد

أضاءت للبرايا كل درب .. فجاب بها الأماجد كل واد

تفتحت القلوب لها وغنت .. كما كعب تغزل في سعاد

يسالمها العدو إذا توارت .. فكيف إذا تمادت في عناد

فإن لها سهاما صائبات .. يحاذرها العدا في كل ناد

وفي بحر الهوى تبدو شراعا .. يسير بأهله نحو السَّداد

وتسبح في دجى الأفكار حينا .. فتبصر مقلتاها كف سادِ (1)

تدوس جحافلَ الضّلاَّل دوما .. وتمحق من إلى التخذيل هاد

دعامتها التسامي للمعالي .. وأس بنائها صخر اجتهاد

وهجر للخمول وصنع حزم .. وسعي للمنى والقلب صاد

تقول متى بدت شمس الأماني .. أيا أهل النهى حيوا مرادي

فقد بلغ الثريا وهي تسري .. وسر ولم يمله ملام عاد

وما إبحارها إلا صعود .. إلى العلياء والمفتاح باد

فكم بذر الأماثل في رباها .. فأبدى البذر ألوان التلاد(2)

سلت بمسارح الترشيد قدما .. فشادت سلم البشرى لحاد

وألهتنا البشائر عن سناها .. فألقت في(3)الورى شمس المعاد (4)

وأهدتنا الهدى تلك الغوالي .. ففزنا بالعلى والحقّ شاد

وساحتنا تمايل من سرور .. وتعلن في الدنى فجر الحصاد

* شاعر مغربي، يقيم بمدينة بني ملال، بالمملكة المغربية.

---

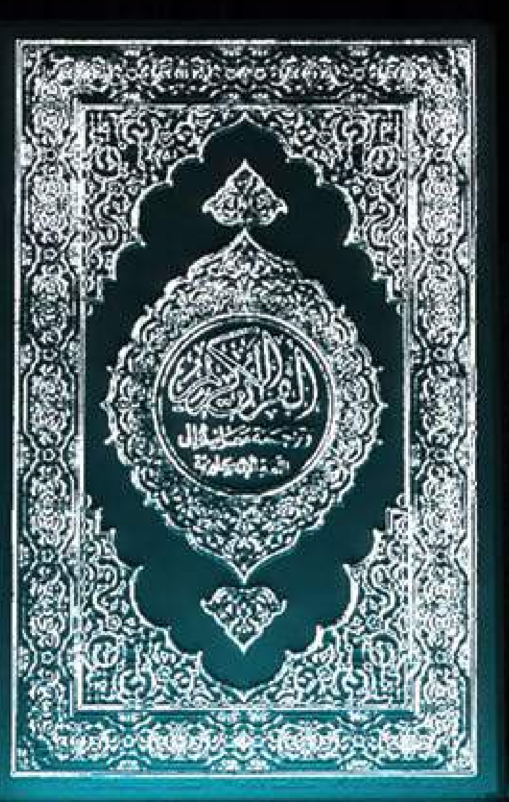
(١) وتعلن في الدنى فجر الحصاد

(٢) التلاد :جمع تليد وهو ما يشتريه الإنسان صغيرا فينبت عنده.

(٣) الورى:الخلق.   (٤) المعاد:العودة،وهي هاهنا من قبيل التورية.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



ذروة سنام الإسلام
د. عطية عدلان

الثائر الأميـــن
د.مجدي شلش

دور المرأة في الجهاد..والاستعانة بغير المسلمين في الحروب
حسن مأمون

أوهام القاعدين عن دعوة المسلمين
ناصر العمر

سيد قطب ... لماذا يزعج الأنظمة الطاغية؟!
د. وصفي عاشور أبو زيد

كلمة حق | العدد الرابع عشر، سبتمبر ٢٠١٨

www.klmtuhaq.blog



ذروة سنام الإسلام

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

بعيداً عن الممارسات المرتجلة والاجتهادات المختلف عليها؛ يبقى الجهاد فريضة محكمة وسنة متبعة وطبيعة لهذه الأمة راسخة راسية، فالجهاد ذروة سنام هذا الدين، وسنام الجمل أعلاه، وذروة كل شيء أعلاه؛ شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ١٠١) فهو ذروة الذروة، على هذا نص حديث صحيح، وهو قول النبيّ صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ»؟ قال معاذ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ» مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٣٥٤) - سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١٢) - السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٢١٤) = سنن ابن ماجه (٢/ ١٣١٤).

كيف لا وهو الذي يبرهن على صدق الإيمان وقوة اليقين؟! هذا بعض ما يستفاد من قول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات ١٥)، كذلك هو أوضح شاهد على الحبّ والإخلاص، فليس شيء أدلَّ على حب العبد لربه وشدة إخلاصه له من بذل النفس في سبيل الله تبارك وتعالى؛ لذلك كانت أكبر أمنيات رسول الله صلى الله عليه وسلم هي هذه: « ... والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل»، وهكذا كل شهيد بعد أن يرى مقامه وما أعدّ الله له من الكرامة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» صحيح البخاري (٤/ ٢٢).

فالذين يحبون الله ويحبهم الله هم هؤلاء الذين ينالون هذا الفضل: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة ٥٤)، وقد قرن الله تعالى بين الحب والجهاد في سياق ينعى على الذين لا يقدمون حب الله ورسوله على حب من سواهما من الخلق ولا يقدمون الجهاد على ما سواه من المصالح؛ فقال عزَّ وجل: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة ٢٤)، ولأنَّهم أحبوا الله تعالى، وبرهنوا على صدق حبهم له بجهادهم في سبيله متراصين متماسكين كالبنيان المرصوص أحبهم الله تعالى وأحب أن يراهم في هذه الصورة الفذَّة: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف ٤).

ولأنَّ الجهاد ذروة سنام الإسلام وجدناه سابقاً سامقاً لا يقارن بشيء، روى البخاريّ عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده» قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟»، قال: **ومن يستطيع ذلك؟**، قال أبو هريرة: «إن فرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له حسنات» صحيح البخاري (٤/ ١٥)، وروى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قيل: **يا رسول الله أي الناس أفضل؟** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»، قالوا: **ثم من؟** قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله، ويدع الناس من شره» صحيح البخاري (٤/ ١٥)، وروى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله، بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة» صحيح البخاري (٤/ ١٥).

ولأنَّ الجهاد ذروة سنام الإسلام كان له هذه الفضائل التي تخطف قلوب الصادقين؛ فللمجاهدين - خاصة - مائة درجة من درجات الجنة، ورد هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سياق يدعو لعلو الهمَّة: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» صحيح البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً (٤/ ١٦).

كل هذه الدرجات بكل هذه السعة في جنة، حقيقتُها - إذا قورنت بنعيم الدنيا - تأتي على هذا النحو الذي يصوره رسول الله صلى الله عليه وسلم في سياق يعظم من شأن آلة من آلات القتال: «لقاب قوس في الجنة، خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب» صحيح البخاري عن أبي هريرة مرفوعا (٤/ ١٧)، وفي سياق آخر يتوسع في ذكر الآلات وفي ذكر الفضائل: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيده - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» صحيح البخاري (٤/ ١٧).



هذا الفضل للمجاهد، أمَّا الشهيد فله فوق ذلك ما اختصه الله به من الفضل والذكر في قرآنه: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)) (آل عمران ١٦٩-١٧١)، وله كذلك ما أكرمه الله به مما جاءت به السنة الصحيحة، مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ" رواه أحمد (١٧١٨٢) والترمذي (١٦٦٣) والنسائي (١٩٣٨) وابن ماجة (٢٧٩٩).

بل إنَّ من يجرح في سبيل الله - حتى ولو لم ينل الشهادة - يكون له فضل يتيه به على العالمين يوم الدين: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة، واللون لون الدم، والريح ريح المسك» صحيح البخاري (٤/ ١٨)، ويصل الأمر إلى حدّ أنَّ المجاهد يؤجر على إعداد ركابه وكراعه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة» صحيح البخاري (٤/ ٢٨)، ولعل الكلمة الجامعة الفاصلة المحيطة بالأمر هنا هي قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» صحيح البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى (٤/ ٢٢).

- لذا كانت أربح تجارة هي هذه التجارة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ (الصف ١٠-١٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة ١١١)؛ فمن اتجر مع الله بهذه التجارة كانت له أربح تجارة، وكان القليل منه أربح من الكثير من غيرها: عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: أَتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد، فقال: **يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟** قال: «أسلم، ثم قاتل»، فأسلم، ثم قاتل، فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمل قليلا وأجر كثيرا» صحيح البخاري (٤/ ٢٠).

- وما دام الجهاد ذروة سنام الإسلام؛ فلا بد أن يكون ماضيا مستمراً إلى يوم القيامة، لا يوقفه ولا يعطله شيء، ولا مفر من إمضائه ولو بطائفة من الأمَّة تجبر قلتها وغربتها بمضيّ عزمها؛ فلا يضرها خذلان القاعدين ولا تولي المعرضين؛ وهذه جملة من الأحاديث تدور حول هذا المعنى، يكمل بعضها بعضا ويفسر بعضها بعضا: قال البخاريّ: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» صحيح البخاري (٤/ ٢٨)، عن عروة بن الجعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» صحيح البخاري (٤/ ٢٨).

عن المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» صحيح البخاري (٤/ ٢٠٧)، وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: " فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ" صحيح مسلم (١/ ١٣٧)، وعن ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٣)، وعن مُعَاوِيَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٤)،





وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ» سنن أبي داود (٣/ ٤)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا» سنن ابن ماجه (١/ ٥)، وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ، أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَسَمْتُ الْخَيْلَ، وَأَلْقَيْتُ السِّلَاحَ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، قُلْتُ: لَا قِتَالَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَزِيغُ اللهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ؛ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ اللهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٦٤-١٦٦)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ، وَلَا تُخْرِجْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ " سنن سعيد بن منصور (٢/ ١٧٦).



الثائر الأمين

د.مجدي شلش

الثورة عقل وحكمة، وحركة وقوة، وإرادة وقدرة، وإدراك للحاضر ووعي للمستقبل، وقيمة ومبدأ، همها وطن سعيد، وإنسان رشيد، وعدل للجميع مديد، وكرامة للصغير والكبير، ورفعة للأمة، تهون في نصرتها الأموال والأولاد والنفوس، الحياة بلا ثورة ضد الطغيان مضرة، والعيشة بلا كرامة فيها حرمة، هي فريضة الوقت، وواجب اليوم، من احترمها وقدرها أعزته، ومن أهانها وانتقصها أذلته، ومن ابتغي غير طريقها خذلته، هي الآن لب الجهاد والكفاح والفلاح.

الدين ليس فقرا مكتوبا، ولا صبرا مكتوفا، ولا ابتلاء موقوفا، إنما عزة وكرامة، وجهاد وأخوة، ومقارعة للباطل بكل قوة، ونصرة للمظلوم وأخذ على يد الظالم الباغي، الدين لبه تغيير واقتلاع، وعقله ثورة وكفاح، وجسمة نار تلظي على الذي استباح، لا تميتوا علينا ديننا باسم الصبر المباح، ولا تقتلوا فينا العزم والقوة والنخوة بالخوف من المناخ، إنما علل من عاش الدنيا وتنعم فيها واستراح، لا تتمسحوا بالدين بالفسحة فيه والمتاح، قتل امرأة في ديننا تنشب له المعارك في كل البطاح، وأسر رئيس أمين صالح تقوم من أجله في شرعنا المعارك الفساح، واغتصاب حرة تهتز لها الأرض والسماوات وتجتز فيها الرقاب، وأسر علماء أعزاء في ديننا جريمة لا تغتفر ولا تباح، وبيع وطن بثمن بخس دونه الموت والشهادة، من علمكم هذا الدين المستباح، ومن أقركم على الدنية فى الدين لاعقل له ولا فلاح، الحكمة معناها وضع الشيء في مكانه المتاح، ذللتم للظالم حتي قطف وقطع الرؤوس الملاح، يا أمة نامت عن دينها واستراحت بفهم الرعديد الجبان، المصلحة في العزة، والكرامة في القوة، ونحن لا نعرف الاستسلام أو الهزيمة، وإنما نصر أو شهادة ذلكم النجاح.

الثائر الأمين هو الذي فى لب المعركة قائم، وفي وسطها مثابر، فاهم لطبيعة الصراع، وواع لحقيقة التدافع، ومدرك لخطورة التنازل، ترك الميدان موت للكرامة والأوطان، وفسحة للعملاء والخونة وأهل النذالة، لا تراجع عن الحق، ولا تهاون مع الباطل، هل نسينا دماء شهدائنا، واغتصاب فتياتنا، وأسررئيسنا وقادتنا وعلمائنا، المعركة الآن وجود أو عدم، تكون الأمة أو لا تكون، الذبح في انتظاركم إن سلمتم الراية، لا تحسبوا التراجع والتنازل صيانة، بل تقسيم للمقسم، وتفريط في المجمع، إنها الخيانة للأمة والديانة، ارفعوا صوتكم، وحصنوا ثورتكم، ووحدوا صفكم، الوقت ليس وقت معارضة مستأنسة تدور في الفلك، وتقتل تاريخها المجيد في محاربة الظلم وطغيان من ملك، الأمة في خطر، الاستخراب علامته ظاهرة، وأمارته واضحة، أنيابه في جسد الأمة ممزقة، وعملاؤه في أوصال الأمة مقطعة.

علام تراهنون؟ على مؤسسات دولية فاسدة، ومنظمات عالمية ظالمة، وقمة عربية فارغة، الرهان الصحيح على الشعوب التي استيقظت، وعلى بغاتها ثارت، ومن أجل هويتها قامت، ولكرامتها وعزتها كافحت وناضلت، الشعوب تحتاج منكم مزيد وعي بحقيقة الصراع، ودفعة منكم لشحذ همتها وطاقتها، سترون العجب العجاب من شعوبكم المقهورة، ومن أمتكم المكلومة، من قال هلك الناس فهو أهلكهم، الأمة ما زال فيها الخير قائم، والعز في دمها ثائر، هي الآن مكشرة عن أنيابها، وتحد من أسنانها، حتي تمزق في الوقت المناسب قلب عدوها، وتمرغ في التراب أنف ظالمها، النصر قادم، والعدو زائل، والمعركة فاصلة، والكلمة ستكون للثائر الأمين الذي على العهد وفى، وللأمانة حفظ، وللدماء صان وما غدر، الثورة الآن أمانة الوقت، تركها خيانة.

{يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخون أماناتكم وأنتم تعلمون }.

- دماء الشهداء والقصاص لها ممن ذبحها أمانة، وتركه والتنازل عنه من البعض خيانة.

- حرية الشعوب وكفاحها ضد جلاديها أمانة، والاستسلام والعبودية للظالم خيانة.

- الدين والنفس والعِرض أمانة، وترك الحفاظ عليها وهدمها من العملاء خيانة. الوطن والأرض والأمة أمانة والتفريط فيها خسة ونذالة وخيانة.

- حق المعتقلين والمطاردين من المجرمين أمانة، وتركهم للبغاة ينهشون لحومهم ويمصون دماءهم خيانة.

- النظر في أحوال المحبوسين والمطاردين بدعمهم معنويا وماديا والاهتمام بشئون أولادهم وأزواجهم أمانة، ونسيانهم والتفريط في دعمهم خيانة.

السيد الرئيس المجاهد الأستاذ الدكتور محمد مرسى عيسى العياط - فك الله أسره وجميع الثوار - أمانة، ليس لشخصه الكريم، وإنما هو قيمة ومبدأ، لأنه تعبير عن عقد واتفاق وحرية وإرادة شعب، التنازل عنه وبيعه تحت أي ظرف كان خيانة، بدونه تسقط أي شرعية بعد ذلك تحت أي مسمى، الله أمرنا أن نؤدى الأمانات الى أهلها بقوله: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها...}، فالخروج عن شرعية الرئيس أداء للأمانة إلى غير أهلها، وهو عنوان الظلم والبغي من طائفة محسوبة على الثورة، كيف نسمح لأنفسنا أن نكون ظالمين لرئيس منتخب بإرادة حرة من شعب ذاق المرار من أعدائه؟

ثورة يناير ٢٠١١ م بكل أهدافها ومقاصدها أمانة، التنازل عنها وتركها والتفريط فيها حتى تنسى وتضيع خيانة، والله نهانا عن خيانة الأمانة {... وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون}.

جاء في بعض الآثار أن " الأمانة غنى " وفي نظري المحدود أن الغنى هنا ليس المال وحده، لكن دلالة اللفظ تتسع لأكثر من ذلك، ولعل من معاني الغني التي يتولد عن الأمانة ما يلي:

أولا: الثائر الأمين يحصل له الغنى بمن توافق معه، وآمن بثورته، وبذل فيها قدر استطاعته، وأما من بخل واستغني عن الثورة فلا يضر الثوار الحقيقيون من خذلهم، حتى ولوكانوا كثرة، لأن النصر ليس متوقفا عليهم، بل في أكثر الأحوال تكون القلة هى أهل النصر، لثباتها وصيانتها " كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله ..." ومعنى الحديث على ذلك: أن من عاش الأمانة بالرعاية والحفظ والصون ولم يخن فهو غني وإن خان البعض الذي كان يرجى منه النصر والتأييد، وعلى ذلك فالغنى هنا معنوي ومادي، وله شواهد كثيرة تؤيده من القرآن والسنة.

ثانيا: الأمانة في حد ذاتها تملء نفس الأمين بالعفة والحفظ وترعاه من الذلة والانكسار أمام سطوة المال أو الخيانة في شتي صورها، فالثائر الأمين ذاته مملوءة بما آمن من قيمة الحفظ والصون، وبم استحفظ من مال أو عرض أو ثورة أو رئيس أو وطن أو أمة، نفسه الكريمة لا تفرط أبدا، سواء حافظ الناس على الأمانة أو ضيعوها، الثائر الأمين أمة وحده، إن شاركه الأمناء فهو خير، وأن وقف وحده فهو الأسد الذي لا يهاب الموت.

ثالثا: يتسع اللفظ في دلالته اللغوية لمعنى آخر وهو أن من حافظ على الأمانة الله يتولاه بالغني فى قلبه، ويجلب له السرور في نفسه، فثمرة الأمانة عند الله عظيمة، وثوابها في الدنيا غني نفسى ومادي، فمن استعف عن شيء وحفظه ورعاه أبدله الله خيرا منه في الدنيا والآخرة، وشواهد ذلك من القرآن والسنة كثيرة.



رابعا: الغني قد يكون آنيا وحاليا كما فى المعاني السابقة، لكنه قد يكون مستقبليا، بعض الناس تنظر إلى الثورة والثوار الأمناء على أنهم فقدوا كل شيء، وحل عليهم الدمار من كل جانب، فينظرون نظرة سلبية بحسب الواقع المشاهد، لكن الحديث يرد عليهم ويقول بأن من صان الأمانة وحفظها وثبت عليها رغم الأهوال الشديدة، والأمواج العالية فمستقبله الغنى، لأنه أدى ما عليه وصبر وشكر، فمآله في المستقبل الغني والنصر، من كان يظن أن الرسول - صلي الله عليه وسلم - وهو محاصر في الأحزاب أن دينه سيفتح بلاد فارس والروم، وتأتي كنوز كسرى وقيصر أمام الصحابة الكرام الذين أكلوا ورق الشجر، ومصوا مرارة الحجر، في حصار شعب أبي طالب، إنه المستقبل العظيم لكل من ثبت وجاهد وضحى.



خامسا: "الأمانة غني" بمعني أن الأمين محبوب، فالغنى معناه الحب والتآلف، ومن أجل أمانته يلتف الناس حوله، فالأمانة كنز عظيم، والثائر الأمين هو الذي يجمع ولا يفرق، ويوحد الجهود، وينظم الصفوف، ويؤلف القلوب، يجمع بين المتخاصمين، ويوحد بين المختلفين، قلبه عامر بحب جميع الثوار، لا يفرق بين أحد منهم على أساس عقدي أو جغرافي أو مذهبي أو نفسي، الثائر الأمين يدعم الجميع، {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك...}، بعض أدعياء الثورة الكلمة عنده بحساب، والنظرة منه للثوار بكتاب، لا يظهر إلا في المناسبات، ولا يتكلم عن الثورة إلا بحسابات، بئس الثوار هم، ينظرون للناس بخفة واحتقار، ولا يبالون في إهانة الشباب الصغار، هَم بعضهم كرسي مريح، ومكتب فسيح، ومركب لطيف، نسوا الثورة وأهلها، هم للدنيا أقرب منهم للجهاد والكفاح، لكن الثائر الأمين ريحه عطرة، وقلبه واسع، وصدره منشرح، لا يضيق بالمخالف مهما تكلم، رأيت بعض أدعياء الثورة لا يتكلمون إلا عن ذواتهم، ولا يقربون إلا من وثق فيهم ووالاهم، فرقوا الجمع، وشتتوا الصف، وأوهنوا العظم، والثائر الأمين غني بالكل، ذاته تفنى في حب إخوانه، ومطالعة أحوالهم، ومعرفة حياتهم، مبتسم للجميع، وناصح للكبير قبل الصغير، اللهم املأ قلوبنا حبا للثوار، واحشرنا مع المجاهدين الأبرار.



دور المرأة في الجهاد، والاستعانة بغير المسلم في الحروب

فضيلة الشيخ حسن مأمون (شيخ الأزهر ومفتي مصر الأسبق)

المبادئ

(١) لم يفرض الجهاد في سبيل الله على المرأة، وهذا لا يمنع من أن للنساء دوراً هاماً في الجهاد، وهو مداواة الجرحى والمرضى وخدمة المجاهدين.

(٢) عدم فرض القتال على النساء لا يسلبهنّ حقهنّ في الدفاع عن أنفسهن وعن بيوتهن وبلادهن.

(٣) يجوز الاستعانة بغير المسلمين في الحرب بشرط عدم تسلطهم وعدم تدخلهم، وأن يضمن المسلمون أنه ليس وراء هذه الاستعانة خيانة لهم وإضعاف لقوتهم.

سُئل: من السيد مندوب روز اليوسف قال:

(١) ما رأى الشرع فيما قامت به المرأة في الفترة الأخيرة من حمل السلاح وتدريب على القتال؟

(٢) في الحرب هل يجوز أن نستعين بمن يخالفوننا في الدين والعقيدة؟

أجاب: عن السؤال الأول لم يفرض الله سبحانه وتعالى على النساء الجهاد في سبيله، أي حمل السلاح والقتال.

وذلك لأن القتال في الحرب يحتاج إلى قوة بدنية وإلى مشقة لا تتوافران في المرأة. فقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "جهاد لا قتال فيه. الحج والعمرة".

وقد بيّن (صاحب المغني) علة عدم وجوب الجهاد عليها بقوله: "لأنها ليست من أهل القتال لضعفها وخورها". وقال (صاحب نيل الأوطار): "وإنما لم يكن الجهاد واجباً على النساء؛ لما فيه من مغايرة المطلوب منهنّ، من الستر ومجانبة الرجال، ولذلك كان الحج أفضل لهنّ من الجهاد".

ولعل من عرف ما يحتاج إليه المجاهد أثناء القتال من قوة وصبر ومشقة، يُدرك تمام الحكمة في أن الله خفف عن النساء ولم يفرض عليهن الجهاد، بمعنى مقاتلة العدو بالأسلحة المختلفة.

وهذا لا يمنع من أن للنساء دوراً هاماً في الجهاد، وهو مداواة الجرحى والمرضى، والقيام بخدمة المجاهدين وغير ذلك من الشئون التى يستعان بها على قهر العدو والتغلب عليه.

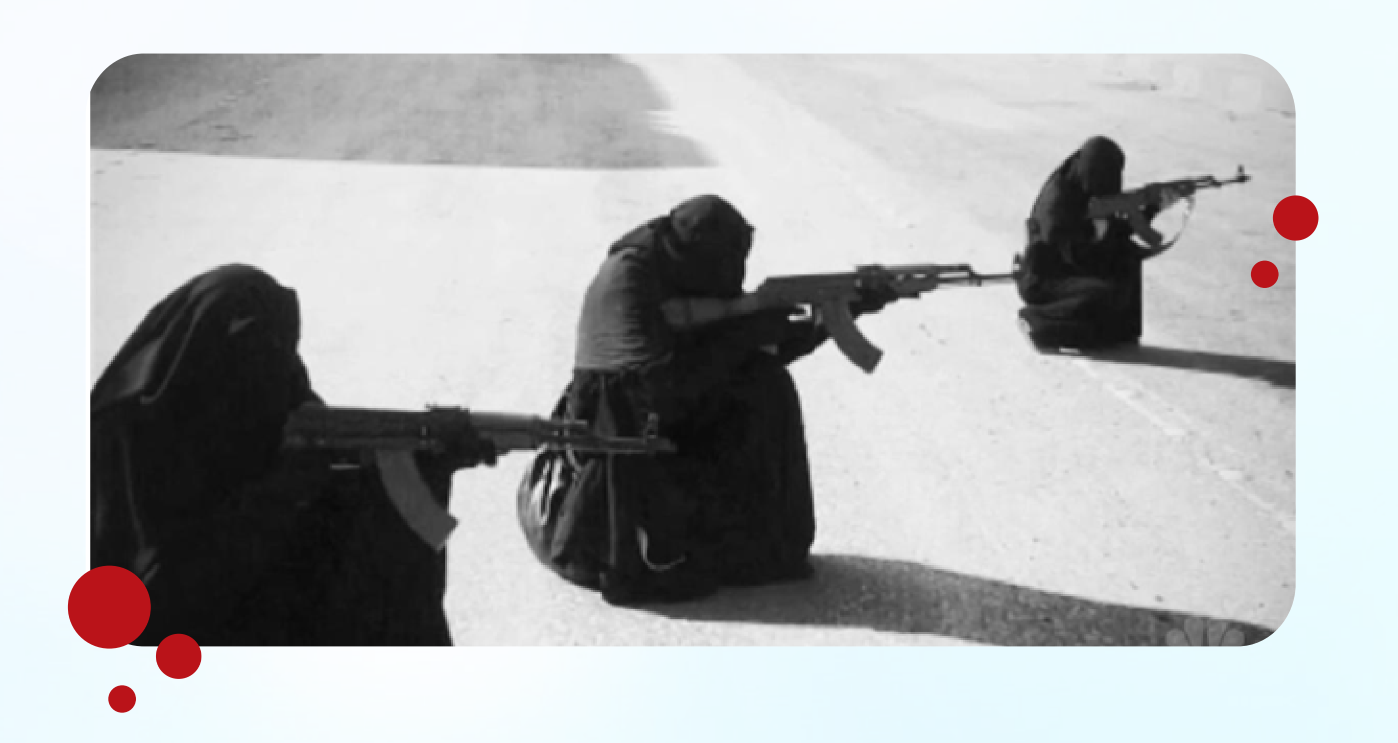


ففي صحيح مسلم والبخارى وأحمد، أن الربيع بنت معوذ قالت: "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، نسقى القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة". وعن أم عطية الأنصارية قالت: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على الزمنى".

فالأعمال التى كانت تقوم بها النساء في الغزوات والحروب التى وردت في هذين الحديثين، من الإعانة على الغزو، قد اعتُبرت غزواً، لأنهنّ ما أتين إلى ميادين القتال لسقى الجرحى ونحو ذلك إلا ذهبن عازمات على المدافعة عن أنفسهن .

وقد ورد في صحيح مسلم أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين فقالت: "اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه".

وهذا يدل على أنه وإن لم يُفرض القتال على النساء، إلا أن هذا لا يسلبهنّ حقهن في الدفاع عن أنفسهن، وعن بيوتهن وبلادهن، كما فعلت سيدات بور سعيد اللآتى اشتركن مع الرجال في الذود عن حياض الوطن.



وعن السؤال الثاني،

اختلف الفقهاء في جواز الاستعانة في الجهاد بغير المسلمين. جاء في البحر عن أبي حنيفة وأصحابه أنه "يجوز الاستعانة بالكفار والفساق؛ حيث يستقيمون على أوامر الحاكم المسلم ونواهيه".

واستدلوا على هذا الحكم باستعانة الرسول صلى الله عليه وسلم بناس من اليهود، وباستعانته بصفوان بن أمية يوم حنين، وعلل المخالفون من الفقهاء لهذا الحكم بالخوف من أن يتسلط غير المسلمين على المسلمين بسبب الاستعانة بهم، وأن يكون في ذلك جعل سبيل الكافر على المسلم، وهذا يخالف لقوله تعالى: { ولن يجعلَ اللهُ للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلا } [النساء ١٤١].



فإذا لم يترتب عليها شيء من ذلك، وضمن المسلمون أن يكون أمرهم بيدهم ينفذون به أحكام الله، ولا يتدخل في شئونهم أجنبي عنهم بسبب معاونته لهم في جهادهم، وأمنوا أن يكون من وراء هذه المعاونة خيانة لهم، أو إضعاف لقوتهم.. جازت الاستعانة بهم، وكانت في هذه الحالة متمشية مع مصلحة جماعة المسلمين.

وكل ما يحقق مصلحة عامة للمسلمين لا يمتنع على الحاكم المسلم أن يفعله والله أعلم[1] .

---

(١) فتاوى دار الإفتاء لمدة مائة عام، الباب: من أحكام الاستعانة بغير المؤمنين، الموضوع (١٠٥٦)، تاريخ الفتوى: ٦ جمادى الأولى ١٣٧٦ - ٨ ديسمبر ١٩٥٦ م.

مقال عالم أسير

منشور بموقع المسلم
على هذا الرابط بتاريخ
١٨ ربيع الثاني ١٤٣٠



أوهام القاعدين عن دعوة المسلمين

ناصر العمر

من الأمور التي تستحق التأمل في واقع الأمة، ما نراه من إحجام كثير من الناس عن القيام بأنواع بعينها من أعمال الخير؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الانخراط في مشاريع دعوية، أو القيام بأنشطة تربوية وما أشبه ذلك، ولا يرجع هذا الإحجام لانعدام الخير أو قلته، فالقلوب والحمد لله مليئة بالخير عامرة بالإيمان، لا أدل على ذلك من إقدام الناس على حفظ القرآن والإنفاق على الفقراء أو كفالة الأيتام أو عمارة المساجد وما أشبه ذلك، لكن السر يكمن في أوهام منتشرة بين الناس تحول بينهم وبين هذه الأبواب من الخير

بعض الناس يحجم عن القيام بهذه الأعمال خشية وقوع أشياء يكرهونها؛ من سجن، أو فصل من وظيفة، أو إخراج من الأوطان، وهي خشية لا تكون في كثير من الأحيان في محلها، حيث نجد العاملين يعملون وتمر الأيام والسنوات دون أن يتعرضوا لشيء من ذلك، بل يحصل العكس، فيكرمهم الله بعلو القدر والمكانة، ورفعة المنزلة والكرامة .

وهذا لا يعني أن أحداً ممن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وغير ذلك من المشاريع النافعة لا يتعرض للأذى، بل قد يقع شيء من المحذور لبعض الناس، لكن هذا لا ينبغي أن يكون مانعاً لغيرهم من سلوك طريقهم، فضلاً عن أن يكون قاطعاً لهم عن مواصلة طريقهم.

> "إن ما يحول بين بعض الأخيار، ومنهم طلاب علم بل علماء، وبين بعض الأعمال النافعة هو ظنهم أن السجن أو الفصل من الوظيفة أو الإخراج من الأوطان يمثل نهاية الدنيا، بحيث لا يمكن للمرء أن يعيش بعده أبداً، وهذا وهم كبير، فكم رأينا وسمعنا عن أناس ابتلوا وامتحنوا لكنهم صبروا واحتسبوا ومر الزمان واستدار فرفع الله عنهم البلاء ورفع قدرهم ومنزلتهم وعوضهم في الدنيا خيراً."

وفي قصة أهل الكهف ما يبدد هذا الوهم الذي عشش في بعض القلوب، فإنهم لما خرجوا من ديارهم، وفارقوا أهلهم وأحبتهم ومساكنهم التي ألفوها إلى كهف منعزل لا يوجد فيه شيء من أسباب الرفاهية، بل لا يوجد فيه ما يكفل لهم البقاء على قيد الحياة، فلا طعام فيه ولا شراب، لم يقولوا: فأووا إلى الكهف واستعدوا للضيق والتحمل والصبر في ذات الله، بل قالوا: {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا} [الكهف: ١٦]، وما ذاك إلا ليقينهم أن من سار في طريق الله يبتغي مرضاة الله آخذاً بالأسباب متوكلاً على رب الأسباب سيجعل له الله من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، وهذا نظر دقيق وفهم عميق رزقه الله هؤلاء الفتية صغار السن وحرمه كثيراً من طلاب العلم. وقد كان من أمر الفتية ما قالوه وزيادة؛ فنشر لهم ربهم من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقاً، ثم جعلهم للناس آية ورفع ذكرهم في العالمين.

إن مما ينبغي أن يكون معلوماً للجميع أن هذه الدار دار ابتلاء وتعب ونصب، وأن الابتلاء سنة الله الماضية في خلقه. وقد ابتلي الأنبياء، وابتلي الصالحون، وابتلي الدعاة إلى الله منذ القدم، فما صدهم ما لاقوه من أذى عن دعوتهم، ولو أن كل من خشي على نفسه الأذى قعد عن الدعوة إلى الله، بل لو أن كل من أوذي في ذات الله قعد عن الدعوة إليه لما وصلنا من دين الله شيء البتة.

فمن كان يظن أن طريق الجنة مفروش بالورود فهو واهم، ومن كان يظن أن الابتلاء بالسجن أو الطرد من الوظيفة أو الإخراج من الديار بل حتى القتل شر محض أو مفسدة راجحة فهو واهم، وها هو شيخ الإسلام رحمه الله ينافح عن الحق فيؤذى ويحارب ويبتلى ويسجن مرات بل يموت في السجن، وبرغم ذلك فقد أعلى الله ذكره وأخمل ذكر أعدائه، وقد كان رحمه الله يقول: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني؛ إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة)[1]! لكن هذا ليس لكل أحد، بل هو خالص لمن أخلص النية لله عز وجل، ثم أخذ بالأسباب، ورجع إلى أهل العلم فيما يأتي ويذر واستشار واستخار، ولم يتمن البلاء ولا حرص عليه لكن أتاه:

وإذا لم يكن إلاّ الأسنة مركباً *** فما حيلة المضطر إلاّ ركوبها!



والمهم أن يصدر المرء في دعوته عن علم، وأن يصدر عن أقوال العلماء ولاسيما في المسائل ذات الخطر، وأن يخلص لله في عمله ويتحرى الصواب، فمن فعل ذلك وعرف طريقه وحدد منهجه فلا يلتفت بعد ذلك لشيء، بل ليمض في طريقه وإن أصابه ما أصابه، كما قال تعالى: {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} [الحجر: ٦٥].

إن هذه الكلمات ليست دعوة كي يلقي الإنسان نفسه أمام المحنة، ويعرضها للابتلاء، فإن العافية لا يعدلها شيء، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية"[2]، والفرار من مواطن الفتن مطلب شرعي، وكم رأينا من رجل كان يقول إنه لو ابتلي فسيصبر ويفعل ويفعل، فلما وقع البلاء لم يصبر، بل انتكس ورجع عما كان عليه من حمل هم هذا الدين والعياذ بالله.

إن المقصود هو أن يقوم المرء بما يجب عليه قياماً منضبطاً بالمنهج الشرعي، بلا إفراط ولا تفريط، فلا تهور يفضي إلى ما لا تحمد عقباه، ولا قعود وانكفاء عن القيام بما يجب القيام به لأوهام لا حقيقة لها، أو حقيقتها لا تعدل مفسدة ما قعد عنه، وكم ممن يمنعه توهم ضرر محتمل أداء ما وجب عليه بيقين.

وإذا أخذ المرء بالأسباب ثم وقع الابتلاء فعليه بالصبر على قدر الله، فإنه إن صبر على أذى ساعة يوشك أن يبدل الله عسره يسراً، ويوشك أن يجد عاقبة ذلك خيراً في الدنيا والآخرة.

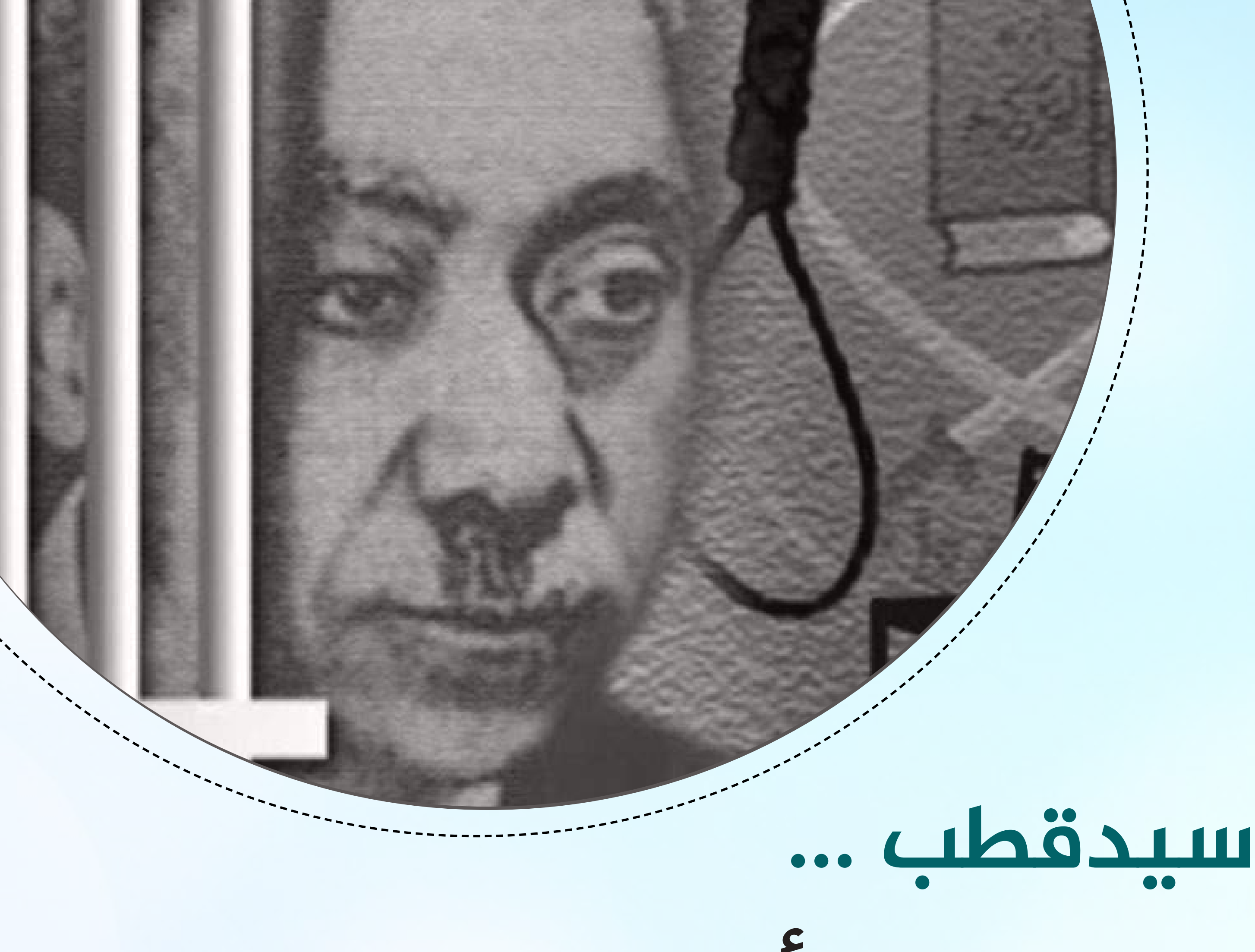
> إن كثيراً من معاناة الأمة اليوم ترجع إلى أفعال بعض أبنائها ممن غاب عنهم المنهج الشرعي، فاندفعوا بوازع من الحماسة غير المنضبطة إلى أعمال خاطئة جرت عليهم وعلى مجتمعاتهم الويلات، وعلى الطرف الآخر تعاني الأمة من إحجام كثير من أهل الخير عن ما ينبغي لهم فعله، وكلاً من الفريقين فقد النظرة المعتدلة للأمور، وأجاب داعي الحماسة أو الخوف دون الرجوع إلى أهل العلم الربانيين المعتبرين ليصدر عن رأيهم.

أما الحق فهو وسط بين هؤلاء وهؤلاء، وصراط الله عز وجل صراط مستقيم لا اعوجاج فيه، {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]، وطريق الدعوة إلى الله طريق واضحة: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: ١٢٥]، فمن صدق الله عز وجل وسلك هذه السبيل فليبشر بخيري الدنيا والآخرة، والله الموفق.

---

(١) الوابل الصيب (ج ١ / ص ٦٧

(٢) صحيح البخاري ٣/١٠٨٢ (٢٨٠٤)، صحيح مسلم ٣/١٣٦٢ (١٧٤٢)



سيدقطب ...

لماذا يزعج الأنظمة الطاغية ؟!

د.وصفي عاشور أبو زيد

في فجر يوم ٢٩ أغسطس من عام ١٩٦٦ م قبل اثنين وخمسين عاما، نُفذ حكم الإعدام على سيد قطب إبراهيم الشاذلي، أشهر مفسر للقرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري، عن ستين عاما، بعد رحلة حافلة من العطاء الأدبي والجهاد الفكري والتربية الروحية ترك خلالها تراثا عظيما نهض به الفكر الإسلامي وتربت عليه أجيال ترفدها هذه الأدبيات الجديدة بالعلم والبصيرة حين تُستقى من القرآن الكريم مباشرة والسنة النبوية المطهرة.

ولقد ترك الأستاذ سيد قطب أدبيات مبتكرة في مجالات شتى، منها: المجال الأدبي: شعرا ونثرا، والمجال الاقتصادي، والمجال الاجتماعي، والمجال القرآني، والمجال التربوي، والمجال الفكري، ويعتبر الأخير هو أبرز المجالات التي أعطى فيها سيد قطب جهده ووجده، رغم أن عطاءاته في المجالات الأخرى فيها الإبداع والتجديد ماثلا وبارزا إذا قرئ في سياقه وملابساته، ووضع في إطار تاريخ العلوم التي كتب فيها: وحسبك أن تقرأ كتابيه: خصائص التصور الإسلامي، ومقومات التصور الإسلامي؛ إذ يُعد الأخير محطة تاريخية فارقة في موضوعه.

ويبرز سؤال هنا له أهميته وحضوره: وهو لماذا يزعج سيد قطب الأنظمة الطاغية والحكام المستبدين؟ فيسلطون علماء سلطاتهم وعملاء شرطاتهم عليه: تجريحا، وتشويها، وعداءً، وافتراء في بعض الأحيان، ويبرز هذا في عصور الاستبداد والطغيان مما يعزز طرح هذا السؤال بشكل واضح؟!

والجواب من وجهة نظري ومن خلال اهتمامي بسيد قطب وما تركه من تراث وأدبيات، وما روي عنه من مواقف وكلمات، يتمثل في عدد من الأسباب:

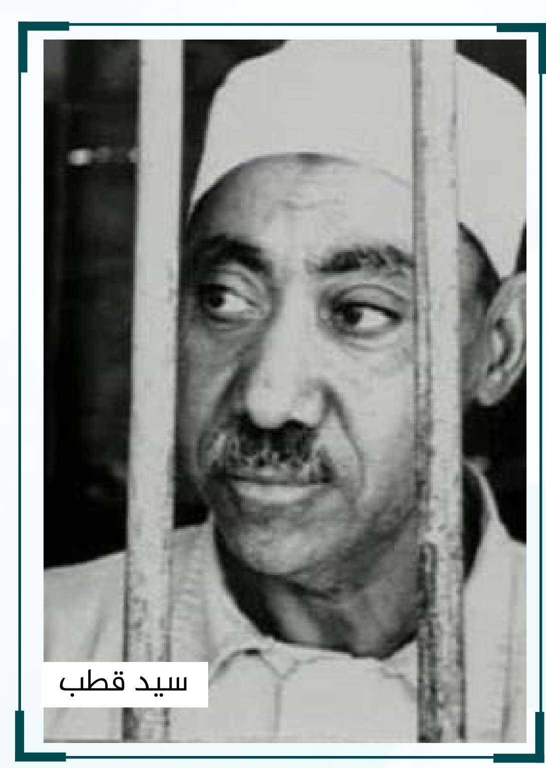
أولها: أن سيد قطب لم يخضع لطاغية عصره، ولم يوافقه على ما أراده عليه، ولم ينثنِ أو يعطِ الدنية في دينه وفكره وعقيدته، بل وقف كالطود الشامخ والجبل الأشم في عزة وشموخ واستعلاء تليق بمثله وتليق أمام هؤلاء الزبانية، حتى قدم روحه رخيصة في سبيل الله، وفي سبيل ما يحمل من إيمان وعمل وجهاد، وهذا يمثل نموذجا بطوليا يعشقه المسلمون لا سيما في عصور الاستضعاف والهزيمة والهوان .. وهذا لا شك يغيظ أنظمة الاستبداد، ويقض مضاجعهم، ويزعج نفوسهم، فيريدون أن يشوهوه أمام الأجيال حتى لا يتمدد أنموذجه وينشأ في الأجيال ما فيه منه مشابه.

ثانيا: أن كتابات سيد قطب لها مذاق خاص، ولها جاذبية كبيرة، لم يقرأه أحد إلا تعلق به، ورأى في عبارته المتكاملة: أدبا وروحا وفكرا ونفسا ووجدانا، ما كان يبحث عنه ويرجو قراءته، فتستبد به كتبُه وتنفرد به دون سواها من المصنفات، وعلى رأسها الظلال، ذلكم الكتاب الذي لم يُؤلَّف في الإسلام مثله!

ثالثا: أن كتب سيد قطب من أوسع الكتب انتشارا في العالم، ومن أكثرها ترجمة، فكتاب الظلال ترجم للغات الدنيا وأقبل الشيب والشبان عليه وعلى فكره وفقهه؛ نظرا لما في أدبياته الفكرية والقرآنية من تجديد واجتهاد فكري حقيقي، ولما تضمنته من أبعاد إنسانية شفافة ورقراقة في أدبه وشعره، وكذلك في نثره (أفراح الروح مثالا)، وما يحمله مشروعه الفكري من آفاق واسعة ومجالات رحبة جعلته مثار نظر المسلمين وغير المسلمين، ومنحت لإنتاجه مجالا رحبا للدراسات الأكاديمية والبحثية، وهذا ما يعطي لمشروعه الفكري أبعادا قوية تزيد من إزعاج الطغاة والمستبدين.

رابعا: أن سيد قطب لم يمثل الممانعة في مواقفه فحسب بل فيما خطب وكتب، ففي عصره انتشرت التنظيمات الماركسية والناصرية والطليعية وتقدمت كتائب الزحف الأحمر (الشيوعية)، وشرقت وغربت بتنظيماتها العنقودية، ولمواجهة هذه التنظيمات آمن سيد قطب أن هذه التنظيمات لا تواجه بأعمال فردية، ومحاولات عشوائية، ولكن لابد من مواجهة جماعية بتنظيم عضوي حركي يفوق هذه التنظيمات أو يكون مماثلا لها على الأقل، وهذا هو صلب فكرة كتابه المظلوم (معالم في الطريق) الذي كان سببا من أسباب إعدامه .. ولا يخفى ما في هذا الفكر المقاوِم والمواجِه من خطورة على الأنظمة الطاغية والحكام الفسدة المستبدين.

خامسا: أنه - يرحمه الله -قد ضاعف مشهدُ استشهاده قيمة فكره ومواقفه، فصبغ به العلم بالعمل، وأبرز مع العطاء الممتد التضحية النبيلة، وخلعت على كتابه مصداقية وتمثلا، وهذا له تأثيره النفسي الكبير بما يثمر انتشارا واسعا مما تعبر عنه مقولته التاريخية: (إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة) ومن هنا يريد الطغاة أن يحولوا بين الناس وبين سعة انتشاره وعمق تأثيره فيُقْدِمُون من خلال سماسرتهم على تشويهه وشيطنته، وتحميله مسئولية فكر التطرف وتطرف الفكر، ومسالك التفجير والتكفير.


سيد قطب

لا شك أن سيد قطب بشر غير معصوم، لم يدَّعِ العصمة ولا ادعاها له أحـد؛ فهو يصيب ويخطئ، ويؤخذ منه ويُترك، وقد ماتت العصمة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من اجتماع الأمة بعده، فهي لا تجتمع على ضلالة، ومع ذلك فسيظل القطب سيد نجما في سماء الأدب والفكر والدعوة والتربية، وسيبقى يمثل ملحمة في التضحية النبيلة والثبات المبين، وستستمر الأنظمة المستبدة منزعجة منه ومن فكره وعمق تأثيره وسعة انتشاره، فيقومون بتسليط علمائهم (عملائهم) عليه تجريحا وشتما وتشويها وافتراء؛ إذ لا يزداد شهيدنا به إلا انتشاره وتأثيرا وتألقا.



حامد
عبدالعظيم

دروس من بلاد الأفغان (2)

كيف تصنع إعلاماً مقاوِماً

ذكرنا في المقال السابق أن من أسباب النجاح الذي تحققه "الإمـارة الإسلامية (طالبان) في أفغانستان يوماً بعد يوم في حربها ضد الاحتلال الأمريكي وعملائه، ما وفرته من عمل إعلامي قوي ومميز، رغم عدم امتلاكها القنوات الفضائية أو الصحف المشهورة، وفي هذا المقال نكشف الحديث أكثر عن هذا العامل المهم من عوامل النجاح.

المنصات الإعلامية

استطاعت "الإمارة الإسلامية" أن توجَد على الساحة الإعلامية بوسائل ومنصات سهلة وميسرة، وتتعرض لها فيما يلي:

(أ) موقع إلكتروني alemara1.net

وقد حرصت الإمارة على أن يكون شكله جذاباً وموضوعاته متنوعة، ما بين الأخبار والبيانات والرسائل والتحليل الأسبوع للأحداث وحوارات وتقارير ومقالات وقصاصات وأناشيد وفيديو، إضافة إلى أعداد مجلة الصمود التي سنتحدث عنها.



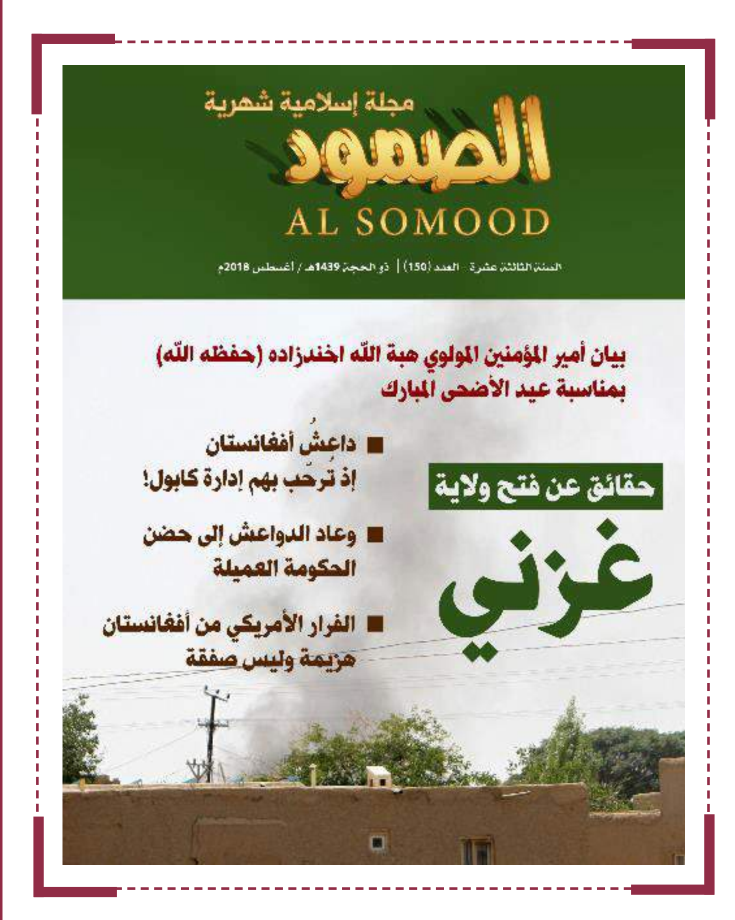
وقد وفّرت محتواه بخمس لغات مختلفة هي: اللغة العربية، والأردية، والفارسية، والبشتو، والإنجليزية، حتى تستطيع الوصول إلى شريحة أكبر سواء على الصعيد الإقليمي أو العربي أو العالمي.

والموقع محجوب في الولايات المتحدة الأمريكية، وغير معلوم مكان نطاقه Domain ويُغيّر موردي الخدمات بشكل متكرر لتجنب التوقف عن العمل (إحدى هذه المرات كانت في هيوستن بولاية تكساس لكن لم يعرف الأمريكان إلا بعد فوات الأوان)، والموقع مؤمّن بصورة قوية ضد الاختراق بإخفائه لمعلوماته الأساسية عند الاستعلام عنها، مثل ما أسلفنا من مكان النطاق وعنوان بروتوكول الإنترنت (IP) وغير ذلك، عبر تسجيله في خوادم لا تطلع على هذه المعلومات وبالتالي لا توفرها للاستعلام، حتى عن طريق بعض المواقع المخصصة لذلك (مثل موقع site24x7.com).

(٢) مجلة الصمود alsomod-iea.info

وهي مجلة شهرية، يصدرها المركز الإعلامي للإمارة الإسلامية باللغة العربية، ذات موقع إلكتروني مستقل، مستمرة منذ ثلاثة عشر عاماً بلا انقطاع، صدر منها حتى اللحظة مائة وخمسون عدداً.

وتتنوع موضوعات المجلة ما بين الأخبار، والإحصائيات، كإحصائيات شهرية لجرائم الاحتلال وإحصائيات شهرية عن عمليات المجاهدين، إضافة إلى مقالات التحليل السياسي عن الوضع الأفغاني، وغير ذلك من الموضوعات.



وتوجد مجلات أخرى لطالبان بلغة البشتو والأوردو تُنشر علناً في مناطق نفوذ طالبان (٥٠ % من أفغانستان) وتوزع مجاناً، إضافة إلى نشرها على الإنترنت، مثل مجلة "شهامات" (أي: الشهامة)، والتي توجد أعدادها على موقع خاص بها: mujali.com ،ومثل مجلة ځرك (أي الطريق).





(٣) تيليجرام

وجدت الإمارة في تطبيق تيليجرام الوسيلة المناسبة لبث أخبارها وأنشطتها، وغضت إدارة تيليجرام طرفها عن قناة الإمارة، وذلك فيما يبدو في إطار الموقف الروسي الذي يرى في طرد الولايات المتحدة من أفغانستان نصراً له ومكسباً.

ما يميز هذه القناة التي يديرها مدير قسم الوسائط المتعددة في اللجنة الثقافية لإمارة أفغانستان الإسلامية، أنها تُحدّث بصورة متسارعة وعبر شبكة واسعة من المراسلين الوقائع التي تجري على أرض أفغانستان، في الولايات والمراكز والمديريات المختلفة.

كما تنشط الإمارة أيضاً على تويتر وفيسبوك لكن بشكل غير رسمي عن طريق حسابات تابعة لها تنشر الأخبار ومخرجات الإمارة، لكن تلاحقها إدارات المواقع خاصة فيس بوك وتويتر ويوتيوب وتعطل حساباتها باستمرار.

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
هلمند: مقتل وإصابة 3 جنود في انفجار تكتيكي في مديرية ناد علي
1081 8:24 PM

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
هلمند: مقتل جندي قرب مديرية جريشك 1079 8:24 PM

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
هلمند: مقتل شرطي في مديرية جريشك 1119 8:24 PM

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
هلمند: قنص جنديين ببندقية دروغنوف في مديرية سنجين
1158 8:25 PM

August 29

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
فراه: مقتل جندي عميل في بشترود 797 9:39 AM

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
مقتل شرطي عميل في مركز ولاية فراه 797 9:39 AM

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
نيمروز: قنص جنديين بسلاح دروغنو في مديرية دلارام 798 9:39 AM

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
قندهار: إلحاق خسائر بشرية للعدو في خاكريز 830 9:39 AM

قناة إمارة أفغانستان الإسلامية
فارياب: إلحاق خسائر بشرية للعدو في مديرية لولاش 834 9:39 AM

(٤) التواصل مع وسائل الإعلام

وقد تحقق ذلك بشكل أساسي من خلال الاتصال بالصحافة الإقليمية مثل الباكستانية، أو الدولية، وعادة عبر الراديو أو الهاتف أو الصحف، خاصة وأن وسائل الإعلام تُسر بإرسال طالبان المواد الحصرية إليها لتفوز بالسبق الصحفي. وقد أصبحت تصريحات المتحدث الرسمي لطالبان ذات أهمية بالغة للصحافة.

البريد الإلكتروني هو وسيلة مهمة للتواصل مع وسائل الإعلام أيضاً، فيتواصلون مع المراسلين ووكالات الأنباء والصحف والمجلات والمحطات الإذاعية والتلفزيون، لتبني المسؤولية عن الهجمات، وتقديم البيانات الرسمية وغيرها من المعلومات. كما يعقدون المقابلات في بعض الأحيان عبر هذا البريد.

(٥) المسجد

المساجد أماكن مفضّلة لدى دعاة طالبان، فيبثون من خلالها الخطب والدروس التي توعي المسلمين بالحرب الدائرة ضدهم، وبمكائد القوى الدولية ضد الإسلام والمسلمين، وتحدثهم عن واجبهم المقدّس في الدفاع عن الدين والوطن.

(٦) محطات الراديو المحلية.

من الوسائل أيضاً التي لم تتركها الإمارة الإسلامية، إنشاء محطات الراديو المحلية ذات النطاق المحدود، مثل تأسيسها لـ"راديوي شريعت" (إذاعة الشريعة) في ولاية غزني، والتي أطلقتها بجودة عالية وحرفية. وأيضًا التي من الممكن إنشاؤها عن طريق الإنترنت، وهذا مكنها من التواصل مع شريحة واسعة محلية.

(٧) وسائل تقليدية

تستمر طالبان في الاعتماد بشكل كبير على جهود الدعاية اللامركزية التقليدية، التي يقول المسؤولون العسكريون الأمريكيون إنها ساحة المعركة الحاسمة، ويشمل ذلك توزيع منشورات على البيوت وفي المساجد ولصقها في الطرقات، كما تقوم بتوزيع الأسطوانات الرقمية (CD) على الأفغان، والتي تعرض فيها لقطات لفظائع الاحتلال في هدم القرى الأفغانية، وجثث المواطنين العاديين الذين قُتلوا بنيران الأمريكيين والأوربيين (الناتو). وتعرض أيضاً عمليات المجاهدين وانتصاراتهم وعمليات الإعدام التي تنفذها طالبان بحق الخونة. إلى آخر ذلك من الطرق القديمة ولكنها فعالة للغاية.

الموضوعات والشرائح

هذه الوسائل الإعلامية البسيطة لم تسلط الضوء فقط على العمليات الحربية كما تفعل بعض الجماعات الجهادية، بل ركزت الإمارة فيها على مستوى موضوعات متعددة، وباستقراء النشاط الإعلامي نستطيع أن نحدد هذه الموضوعات فيما يلي:

(١) مستوى الشأن السياسي المحلي - التحليل السياسي
(٢) مستوى الشأن السياسي العالمي - التحليل السياسي
(٣) مستوى الشأن الأمريكي خاصة - التحليل السياسي
(٤) مستوى العمليات الحربية المحلية
(٥) مستوى العمل الأهلي الخيري
(٦) مستوى الردود الإعلامية
(٧) مستوى فتاوي العلماء
(٨) مستوى مجابهة فتاوي علماء السلطان
(٩) مستوى حقوق الإنسان (التنديد باستهداف المراكز التعليمية، إحصاء جرائم الاحتلال، إطلاق حملات العناية بالأيتام والمساكين... إلخ).
(١٠) الزهديات والآداب الإسلامية والدعوة إلى الله والاعتناء بسير الشهداء.
(١١) مستوى الأحكام الفقهية.

وقد تنوعت الشرائح المستهدفة من خطاب الإمارة الإسلامية الإعلامي، وهذه الشرائح هي:

(١) الشعب الأمريكي
(٢) الحكومة الأمريكية
(٣) الشعب الأفغاني
(٤) الحكومة الأفغانية
(٥) العالم الإسلامي
(٦) العالم غير الإسلامي



الصبغة الفنية

ومن اللافت للنظر أن هناك اهتماماً بجودة المخرجات الإعلامية، فالتصوير المرئي للعمليات التحريرية التي تقوم بها الإمارة ضد الاحتلال، تلحظ فيه أنه عالي الجودة، يشد المشاهد ولا يجعله يشعر بالملل، بل يشعر أنه في قلب المعركة، فهي إصدارات أشبه بالأفلام السينيمائية لكنها حقيقية، تصوير بكاميرا متقدمة للغاية، ومونتاج على أعلى مستوى، وإخراج متميز.



ومن النماذج التي صدرت مؤخراً وظهرت فيها هذه الجوانب، إصدار مرئي مصحوب بترجمة إنجليزية، بعنوان "قافلة الفتح - ١٢"، والذي أصدره استوديو الهجرة الجهادي، التابع لطالبان، وفيه الهجمات الاستشهادية المختلفة، ورسائل دعوية وإصلاحية للعالم الإسلامي، وللشعب الأفغاني، ولمجاهدي الإمارة الإسلامية، وظهرت به لقطات تدريب مجموعات من المجاهدين الاستشهاديين من "معسكر الفاتح"، وينتهي الإصدار برسالة نصية قصيرة لأمير الإمـارة الإسلامية وشيخ الحديث: هبة الله اخندزاده.

نستنتج مما سبق أن هناك اهتماماً بالغاً من الإمارة الإسلامية بالإعلام، وقد تُرجم هذا الاهتمام إلى عمل منظم ومستمر لا ينقطع، بل على العكس يتطور مع مرور الأيام ويواكب العصر بأقل الإمكانيات، عمل إعلامي استطاع أن يحدد الشريحة المستهدفة من خطابه، وهذا أمر مهم للغاية في أي عمل إعلامي مهني، أن تحدد مَن تُخاطب؟ لأنك ببساطة بعدها ستخرج بسؤال كيف أخاطبه بخطاب مناسب؟ وهو السؤال الذي يعقبه تحديد الأسلوب المناسب لكل شريحة، سواء كانت هذه الشريحة هي الاحتلال الأمريكي؟ أو الشعب الأفغاني؟ أو الحكومة العميلة؟ أو الشعوب الإسلامية والعربية؟ وهكذا.

وكنموذج عملي على الشرائح المستهدفة نتناول جزءاً صغيراً من البيان الطويل الذي أصدره أمير الإمارة الإسلامية في عيد الأضحى السابق، فقد خاطب في بيان واحد أكثر من شريحة، وأوصل أكثر من رسالة لمستقبلين عدة، فها هو يوجه خطابه إلى "الأمة الإسلامية وشعب أفغانستان المجاهد"، ويبشرهم بأن المقاومة "على مشارف الفوز والانتصار"، وأنه قد "انحنت رؤوس الجنرالات الأمريكيين المتغطرسين لعظمة جهاد الشعب الأفغاني"، لاحظ أنه لم ينسب الفضل إلى طالبان ويرسخ الفئوية، بل إلى الشعب الأفغاني كله رغم أن جزءاً من هذا الشعب يقاتل طالبان ويصدق دعاوى الاحتلال فيهم.

ثم انتقل ليوجه الرسالة إلى الحكومة الأفغانية العميلة والاحتلال الأمريكي بأسلوب تهديدي في خطابه فأكّد على أنه "لن يحل السلام في ظل الاحتلال، وأيضاً لا سبيل للنجاة إلا بإقامة نظام إسلامي، وشعبنا قدم تضحيات عظيمة من أجل إقامة نظام إسلامي وتحرير البلد، ومن المستحيل إبرام صفقة بأي قيمة مع أحد على هذه الأهداف العالية، ويجب ألا يطمع أحد في ذلك".

ثم لجأ إلى مخاطبة الأمريكان خطاباً ليناً بقوله: إن "الإمارة الإسلامية مازالت تدعو الأمريكيين إلى استخدام العقل والمنطق بدلاً من تجربة القوة، وتحدد لهم السبيل الوحيد الذي يضمن الوصول لإيقاف هذه الحرب الطويلة وإنهائها، ألا وهو إنهاء احتلال أفغانستان".

ثم انتقل إلى محيطه الإقليمي ليطمئنه بخطاب سياسي وذلك عندما أكد على أن "الإمارة الإسلامية التي تولت قيادة المقاومة ضد المحتلين دفاعاً عن دينها وأرضها، قد انتصرت لله الحمد- عسكرياً في أرض المعركة، كما أنها متحكمة بشكل كامل سياسياً وإدارياً في إدارة المقاومة، وأيضاً طمأنت دول الجوار والمنطقة".



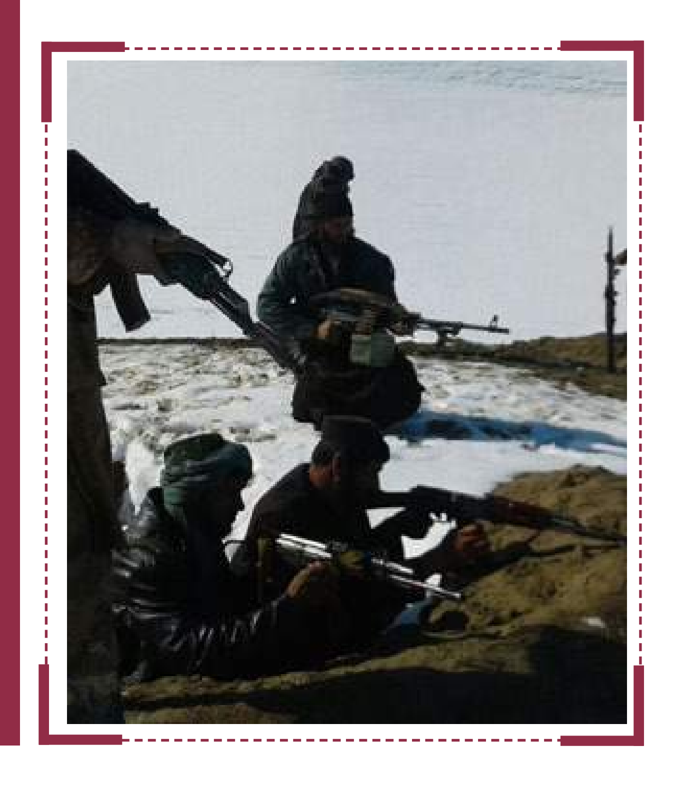
"أمريكا لو أنهت احتلالها لأفغانستان اليوم؛ فإننا قادرون على أن نطمئن الجميع بمن فيهم أمريكا على استتباب الأمن هنا ومنع وقوع أي خلل واضطراب، ولن تحدث أية مشاكل بإذن الله".

ثم آن أوان الرسائل الجادة ضد الاحتلال الأمريكي مرة أخرى فقال "مما لا شك فيه أن الأمريكان خلال احتلالهم الغاشم لأفغانستان لم يألوا جهداً في ممارسة أي ضغط وعدوان في تعذيب الأفغان، وإطالة الحرب طيلة السنوات السبعة عشر الماضية. لكنهم علاوة على ذلك فمن أجل إضعاف المقاومة شرعوا الآن في بذل جهود لصنع عصابات مسلحة لإثارة الفتن [يقصد داعش]، وانعقاد مؤتمرات دينية باسم العلماء، وتسيير قوافل من البُلْه باسم قوافل السلام، وإيجاد تحالفات مبنية على أسس حزبية، وقبلية، وعرقية باسم أحزاب سياسية لانقسام الشعب والبلد".

لا نستطيع أن نتوقف عند كلمات الخطاب جميعها، ولكنه نموذج لكيفية تنويع الرسائل تبعاً لتنوع المستقبلين وتعددهم.

الرسالة الإعلامية

لا يوجد إعلام ناجح بلا رسالة إعلامية واضحة وثابتة، وهذا ما جعل بعض الجماعات الإسلامية التي تسترضي الغرب والعلمانيين والتي "ترقص على السلم" بلا طعم أو لون أو ريح، أما طالبان فكانت رسالتها الإعلامية واضحة ومستقرة وظاهرة وواضحة.



فالتركيز الأساسي في رسالة طالبان الإعلامية على تاريخ الحروب بين الصليبيين والمسلمين، وتشدد طالبان على الخلافات الدينية والثقافية بين المسلمين وقوى الكفر، وفكرة صراع الحضارات، وتتهم الغرب بأنه يسعى لتدمير الأمة الإسلامية، وترسخ أن ما يجري ليس ما يسمى "الحرب على الإرهاب" ولكنها حرب ضد الإسلام، وتصف القوات الدولية "بالمحتلين والغزاة". وتصور حكومة أفغانستان بأنها دُمية للأمريكان، وترى جهود إعادة الإعمار والمساعدات الخيرية التي يقوم بها الصليب الأحمر وغيره على أنها مساعٍ لتنصير الأفغان.



لقد أصبحت طالبان بارعة في تصوير الغرب على أنه على شفا الهزيمة، وعملت على استخدام الخلافات بين واشنطن وكابول لصالحها، وعملت على إيصال رسالة للعالم أن لديها استراتيجية لحكم البلاد مرة أخرى، وتقديم برنامج للقضاء على الفساد وحتى حماية حقوق المرأة، فهي لا تتحدث فقط عن الاحتلال وعن الضحايا المدنيين، بل تتصرف وتقدم نفسها كبديل للحكومات الأفغانية المتعاقبة الفاشلة.

وقد سبق وأطلقت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) حملة واسعة في أفغانستان للقضاء على وسائل الإعلام التي تديرها الإمارة الإسلامية، وافتتحت الحكومة الأفغانية العميلة مركزاً إعلامياً بقيمة ١.٢ مليون دولار بدعم أمريكي وأوروبي، لمراقبة وسائل الإعلام التابعة لطالبان، هذا غير الآلة الإعلامية الجبارة التي تديرها الولايات المتحدها عبر وسائلها ضد الإمارة، وهذا مما يدل على أثر الإعلام التي تقدمه طالبان، بسبب وضوح رسالتها وإتقانها لاستخدام ما يُتاح لها من وسائل إعلامية بسيطة، وإنها لتجربة جديرة بالدراسة حقاً من جانب الحركات الإسلامية في جميع العالم.

ذكرى وفاة الشهيد سيد قطب (٢٩ أغسطس ١٩٦٦ م).

" إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبل عليه بهذه الروح . روح المعرفة المنشِئة للعمل، إنه لم يجئ ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ - وإن كان هذا كله من محتوياته- إنما جاء ليكون منهاج حياة، منهاجاً إلهياً خالصاً ".

كَلِمَةُ حَقّ

العدد الرابع عشر , سبتمبر ٢٠١٨